مِنْ أَسْرَارِ النَّظْمِ

فِي سُورَةِ النَّبَأ

تأليف

الدكتور / يحي بن محمد بن إبراهيم عطيف
الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بأبها
جامعة الملك خالد

مكتبة الرشد
ناشرون

من أسرار النظم في سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ أسْرَارِ النَّظْمِ

فِي سُورَةِ النَّبَأ

تأليف

الدكتور/ يحي بن محمد بن إبراهيم عطيف

الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بأبها

جامعة الملك خالد

مكتبة الرشد

ناشرون

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الطبعة الأولي تاريخ : ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

مكتبة الرشد – ناشرون

المملكة العربية السعودية – الرياض

الإدارة : مركز البستان – طريق الملك فهد هاتف ٤٦٠٢٥٩٠

ص ٠ ب ١٧٥٢٢الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ – فاكس ٤٥٧٣٣٨١

Email: rushd@rushd.com
Website : www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة

الريـــاض :المركز الرئيسي : الدائري الغربي – بين مخرجي ٢٧ و٢٨ هاتف ٤٣٢٩٣٣٢

الريـــاض : فـــرع طريـــق عثمـــان بـــن عفـــان هـــاتف ٢٢٥٣٠٥٢

الريـــاض : فـــرع الـــدائري الـــشرقي هـــاتف ٤٩٧١١٩٩ فـــاكس ٤٩٦١٥٩٩

فـــرع مكـــة المكرمـــة : شـــارع الطـــائف هـــاتف ٥٥٨٥٤٠١ فـــاكس ٥٥٨٣٥٠٦

فـرع المدينـة المنـورة : شـارع أبـي ذر الغفـاري هـاتف ٨٣٤٠٦٠٠ فـاكس ٨٣٨٣٤٢٧

فـــرع جـــدة : مقابـــل ميـــدان الطـــائرة هـــاتف ٦٧٧٦٣٣١ فـــاكس ٦٧٧٦٣٥٤

فـــرع القـــصيم : بريـــده – طريـــق المدينـــة هـــاتف ٣٢٤٢٢١٤ فـــاكس ٣٢٤١٣٥٨

فـــرع أبهـــا : شـــارع الملـــك فيـــصل هـــاتف ٣٢١٧٣٠٧ فـــاكس ٢٢٤٢٤٠٢

فـــرع الـــدمام : شـــارع الخـــزان هـــاتف ٨١٥٠٥٥٦ فـــاكس ٨٤١٨٤٧٣

فـــــرع حائـــــل : هـــــاتف ٥٣٢٢٢٤٦ فـــــاكس ٥٦٦٢٢٤٦

فـــــرع الإحـــــساء : هـــــاتف ٥٨١٣٠٢٨ فـــــاكس ٥٨١٣١١٥

فـــــرع : تبـــــوك هـــــاتف ٤٢٤١٦٤٠ فـــــاكس ٤٢٣٨٩٢٧

مكاتبنا بالخارج

القـــاهرة : مدينـــة نـــصر : هـــاتف ٢٧٤٤٦٠٥– موبايـــل ٠١١٦٢٨٦١٧٠

بيروت : بئر حسن موبايل ٠٣٥٥٤٣٥٣ تلفاكس ٠٥/٤٦٢٨٩٥

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب المبين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فموضوع هذا البحث «من أسرار النظم في سورة النبأ»، يأتي حلقةً ثانيةً في سياق دراستي لبلاغة القرآن الكريم التي بدأتها ببحث «من بلاغة الدعاء في القرآن الكريم» وستليها حلقات أخرى إن شاء الله تعالى.

ومن أهم الدوافع التي دفعتني إلى بحث هذا الموضوع إيماني بأهمية الدراسة البلاغية التطبيقية التي تتجه إلى تطبيق قواعد البلاغة على النصوص البليغة التطبيقية التي تتجه إلى تطبيق قواعد البلاغة على النصوص البليغة ولاسيما النص القرآني؛ لأن في ذلك إمداد لها بالماء الذي يزيل عنها الجمود والجفاف الذي لحقها في العصور المتأخرة، فبهذه الصلة بين القاعدة البلاغية والنص تحيا الدراسة البلاغية وتزدهر، فتحقق أهدافها في تربية الأذواق؛ لمعرفة الإعجاز البياني للقرآن الكريم وفهم قيمه العالية ومعانيه السامية؛ ومن الدوافع ما رأيته في هذه السورة الكريمة – كغيرها من سور القرآن الكريم – ومن وفرة مظاهر الإعجاز البلاغي النظمي وتعددها على الرغم من أنها من قصار السور، ومع ذلك لم تحظ بدراسة

بلاغية مخصصة تبسط القول في استكشاف أسرار نظمها ولطائف بلاغتها.

ويستهدف هذا البحث توظيف قيم البلاغة وقواعدها لتجلية بعض مظاهر الإعجاز النظمي في هذه السور الكريمة، وبيان بعض أسراره ولطائفه.

وقد استعنت في إعداده يكتب التفسير وبخاصة تلك التي عنيت بالجوانب البلاغية كتفسير الكشاف (ت ٥٣٨هـ) وتفسير أبي السعود (ت ٩٨٢هـ) وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، مضافاً إليها ما استعطت الوقوف عليه من المصادر القديمة والمراجع الحديثة اللغوية والأدبية وغيرها التي تتصل بموضوع بحثي.

وجعلته في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة. تحدثت في التمهيد أولاً عن مفهوم النظم عند البلاغيين وعناصره، وتحدثت فيه ثانياً عن سورة النبأ والغرض منها وأقسامها أو مقاطعها بحسب معانيها وخصائصها.

وقسمت البحث من حيث عناصر النظم إلى ثلاثة فصول:

تحدثت في الفصل الأول عن خصائص اللفظ، وفي الفصل الثاني عن خصائص التركيب، وفي الفصل الثالث عن خصائص التصوير، وختمت البحث بخاتمة سجلت فيها بعض النتائج التي انتهيت إليها.

وقد اتبعت جهوداً في دراسة أسرار النظم وخصائصها في هذه السورة الكريمة: أبدأ بتحديد مفهوم الخاصية البلاغية وأشير إلى قيمتها البيانية أو

الجمالية، ثم أورد لها نماذج من السورة بحسب ترتيب آياتها، وأقوم بتحليلها بلاغياً محاولاً إبراز أسرارها وأغراضها البلاغية.

هذا والله أسأل أن يجنبني الزلل، وأن يوفقني إلى خدمة كتابه الكريم، والله الهادي إلى سوء السبيل.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا
سَيَعۡلَمُونَ ٥ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ
سُبَاتٗا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢
وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ
أَلۡفَافًا ١٦ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ
فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا
٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥ جَزَآءٗ
وِفَاقًا ٢٦ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ٢٨ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ
كِتَٰبٗا ٢٩ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢ وَكَوَاعِبَ
أَتۡرَابٗا ٣٣ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ٣٥ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦ رَّبِّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا
يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا
٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾

التمهيد

(١) مفهوم النظم عند البلاغيين وعناصره.

(٢) سورة النبأ.

١- مفهوم النظم عند البلاغيين وعناصره:

وردت مادة «نظم» ومشتقاتها في معاجم اللغة بمعنى التأليف والجمع والاتساق. جاء في لسان العرب: «النظم: التأليف – نظمه ينظمه نظماً ونظاماً، ونظّمه فانتظم وتنظم. ونظمت اللؤلؤ: أي جمعته السلك، والتنظيم مثله. ومنه نظمت الشعر ونظّمته... وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته. والنظم: ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما وأحدته نظْمه. والنظم نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد. وكذلك هو في كل شيء حتى يقال: ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته. والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ، وكل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام وجمعه نُظُم. والنظام: العقد من الجوهر والخرز ونحوهما وسلكه خيطه... والانتظام الاتساق...»[١].

وفي الاصطلاح «تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل»[٢].

---

(١) لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، مادة «نظم»، دار صادر، بيروت، ط/٦، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، وانظر في المادة نفسها: أساس البلاغة: جار الله محمد بن عمر الزمخشري، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت (بلا تاريخ)، والقاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، بولاق، القاهرة، ط/٣، ١٣٠٢هـ، والمعجم الوسيط: إخراج: د. إبراهيم أنيس وزملائه، ط/٢، دار الفكر (بلا تاريخ). وفيه «.. ويقال: نظم القرآن: عبارته التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة».

(٢) التعريفات: الشريف علي بن محمد الجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، ٣١٠، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٢، = ١٩٩٢م.

وقد مر مصطلح النظم بمراحل قبل أن يتحدد مفهومه على النحو الذي يبدو في هذا التعريف الاصطلاحي.

فقد ظهرت فكرة النظم القرآني منذ القرن الثالث الهجري عندما بدأ البحث في إعجاز القرآن إثر تعرض فكرة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم لبعض المطاعن[1] نتيجة لعوامل متعددة هيَّأت الجو أمام المشككين منها «سيطرة العناصر الشعوبية، وإمساكها بزمام السلطة، ورواج الثقافات الأجنبية الوافدة، وقيام الفرق الكلامية الإسلامية على أساس الخصومة والمنافرة فيما بينها»[2]. حينئذ «مست الحاجة إلى بسط القول في فنون من فصاحة (القرآن) ونظمه ووجه تأليف الكلام فيه»[3]. فعد العلماء والأدباء نظم القرآن وجهاً من وجوه إعجازه.

ومن أوائل القائلين بالإعجاز بالنظم أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) فقد رد رأي أستاذه إبراهيم بن سيار النظام (ت ٢٢٨هـ) الذي أنكر إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه، وعلله بالصرفة فقرر أن «الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز – كما يقول – أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح: السيد أحمد صغر، ٢٤ وما بعدها، دار التراث، القاهرة، ط/٢، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.

(٢) انظر: الإعجاز النظمي للقرآن: د. عبد الحميد العبيسي، ١٣/١، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ط/١، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

(٣) تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، ١٥١/٢، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م.

فيهم»[1]. وألف الجاحظ كتابه المشهور المفقود «نظم القرآن» والذي أشار إليه في بعض مؤلفاته الأخرى كقوله في الحيوان مفنداً موقف خصمه: «كما عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه...»[2].

ومن رأيه في الإعجاز بالنظم قوله: «في كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد»[3]، وكلمة النظم عند الجاحظ تأتي مرادفة للتأليف، وتأتي في بعض المقامات بمعنى البيان والإنشاء[4].

ويتفق ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) مع الجاحظ في رأيه في إعجاز القرآن بالنظم. فيقول في صدر كتابه «تأويل مشكل القرآن» الذي رد فيه على الطاعنين في القرآن والمشككين في أمر إعجازه بالنظم: «الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد. وهدانا بنور الكتاب... وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين. وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين...»[5]. وأشار إلى أسرار النظم القرآني وعناصره، ممثلة في الجمال الصوتي الإيقاعي والمعاني

---

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن الأشعري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ٢٩٦/١، مكتبة النهضة المصرية، ط/٢، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م.

(٢) الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، ٩/١، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط/٢، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م.

(٣) المصدر نفسه: ١٣١/٣.

(٤) انظر: نظرية عبد القاهر في النظم: د. درويش الجندي، ٢٣، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٠م.

(٥) تأويل مشكل القرآن: ٣ .

الأصلية الخالدة والمعاني البلاغية، وبذلك استطاع أن يفتح الطريق لمن أتى بعده من البلاغيين أن يتحدثوا بثراء عن عناصر الكلام[1].

ويشهد مفهوم النظم في القرنين: الرابع والخامس الهجريين تطوراً بجهود بعض العلماء والأدباء كالخطابي والقاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني.

أما الخطابي (ت ٣٨٨هـ) فقد ألف رسالة في «بيان إعجز القرآن» أرجع فيها إعجاز القرآن إلى بلاغته، وشرع في بيانها، وانتهى إلى أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه. ومن حديثه عن النظم وعناصره قوله: «إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلا من نظمه... واعلم أن القرآن إنما صار معجزا؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني...»[2].

فالخطابي يحصر عناصر الإعجاز – متأثراً بابن قتيبة – في الألفاظ والمعاني ونظوم تأليف العبارة، ويقف عند هذه العناصر، ويوضح مراده

(١) انظر المصدر نفسه، ٣وما بعدها، ومن بلاغة النظم العربي: د. عبد العزيز عرفة، ١٤ ، ١٥، عالم الكتب، بيروت، ط/٢، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م. وانظر: الإعجاز النظمي: ١٨.

(٢) بيان إعجاز القرآن: حمد بن محمد الخطابي – ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – تح: محمد خلف الله أحمد زغلول سلام: ٢٤، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.

بالنظم فيقول إنه «عبارة عن ارتباط الكلمات بعضها ببعض والتئامها، وأن هذا الارتباط وذلك الالتئام يحدث صورة في النفس يتشكل بها البيان»[1].

ويرى الأستاذ الدكتور أبو موسى أن معنى النظم عند الخطابي قريب من معناه عند عبد القاهر «لأنه يعني الروابط بين الكلمات والجمل، وليس هذا إلا توخي معاني النحو كما يقول عبد القاهر»[2].

وأما القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ) فقد خصص الجزء السادس عشر من كتابه «المغني» للحديث عن إعجاز القرآن، عقد فيه فصلاً لبيان الفصاحة التي فيها يفضل بعض الكلام على بعض. عرض فيه رأي شيخه أبي هاشم الجبائي (ت ٣٢١هـ) الذي نفى أن يكون النظم بمعناه العام وهو اختلاف الطريقة أو مطلق الأسلوب وجهاً من وجوه الإعجاز ومفسراً لفصاحة الكلام؛ لأن الإعجاز في رأيه يرجع إلى جزالة اللفظ وحسن المعنى اللذين تتحقق بهما الفصاحة. «وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص، لأن الخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر والنظم مختلف، إذا أريد بالنظم اختلاف الطريقة، وقد يكون النظم واحداً وتقع المزية في الفصاحة ...»[3].

---

(١) المصدرالسابق: ١٤ .

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: د. محمد أبو موسى، ١٢٦، دار التضامن، القاهرة، ط/٢، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

(٣) المغنى في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار، تح: أمين الخولي، ١٩٧/١٦، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط/١، ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م، وانظر: البلاغة القرآنية في كشاف الزمخشري: ١٢٦.

ويتابع القاضي شيوخه فيعلل إعجاز القرآن باختصاصه برتبة في الفصاحة خارجة عن العادة[1]. ويحس القاضي نقصاً في مفهوم شيخه أبي هاشم للفصاحة؛ «لأنه لم يلاحظ صورة تركيب الكلام، وهي أساسية في بلاغة العبارة وفصاحتها»[2]. فعقد فصلاً آخر أوضح فيه المزية في الفصاحة أو العلة التي بها يتفاضل الكلام في فصاحته، فنفى علاقتها بالألفاظ من حيث ذواتها وبالمعاني وإن كان لابد منها، وربطها بالنظم، ومما قال: «اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع... فالذي تظهر به المزية ليس إلا الإبدال (الاختيار) الذي به تختص الكلمات، أو التقدم والتأخير الذي يختص الموقع، أو الحركات التي تختص الإعراب فبذلك تقع المباينة...»[3].

والقاضي عبد الجبار يريد بضم الكلمات بعضها إلى بعض على طريقة مخصوصة توخي معاني النحو فيما بين الكلم كما يقول عبد القاهر في تعريفه للنظم كما سيأتي، يؤيد هذا شرح عبد القاهر لعبارة القاضي عبد

(١) انظر: المصدر السابق: ٣١١/١٦، ٣١٨.

(٢) البلاغة تطور وتاريخ: د. شوقي ضيف، ١١٦، دار المعارف، مصر، ط/٥.

(٣) المغني: ١٩٩/١٦، ٢٠٠.

الجبار في سياق تفسيره للنظم في كتابه «دلائل الإعجاز»[1]. وتأسيساً على ذلك فمفهوم النظم عند عبد الجبار المستفاد من حديثه عن الفصاحة يقترب اقتراباً شديداً من معناه البلاغي الخاص عند صاحب الدلائل كما سيأتي، فهو لا يريد بنظم القرآن «مجرد طريقة مبتدعة في صياغة الكلام تباين ما عرف العرب من منظوم ومنثور، وإنما انفرد معها برتبة في الفصاحة معجزة...»[2]. ويعد «كلامه – كما يقول الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى – مرحلة ثانية في تطور النظم بمفهومه عند عبد القاهر»[3]، ويرى بعض مؤرخي البلاغة العربية أنه بذلك وضع أصول نظرية النظم بمعناها العلمي الدقيق[4].

ويعد الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) أبرز من شرح فكرة النظم مستفيداً من جهود السابقين، فخصص لها كتابه المشهور «دلائل الإعجاز» سعى فيه إلى أن بلاغة الكلام تكون في النظم، وأن إعجاز القرآن يرجع إلى خصائص في أسلوبه أو نظمه. وللنظم في نظره معنيان: لغوي وبلاغي.

---

(١) انظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ٣٠١ ، ٢ – ٣، تصحيح وتعليق محمد عبده ومحمد رشيد رضا، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ= ١٩٧٨م، وانظر: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار: د. عبد الفتاح لاشين، ٢١٩ وما بعدها، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م.

(٢) الإعجاز البياني للقرآن: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، ١/١١٠، دار المعارف، القاهرة، ط/٢، ١٩٨٧م، وانظر: المغني: ٣٢١/١٦.

٣() البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ١٢٧.

(٤) انظر: البلاغة تطور وتاريخ: ١١٨، ومن بلاغة النظم العربي: ٢٠ .

فاللغوي هو «ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق» ويسميه بالنظم في الحروف، وهو تواليها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضى عن معنى...»[1].

والبلاغي ويسميه نظم الكلم، وحقيقته «أنك تقتفي في نظمها (الكلم) آثار المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء كيف جاء واتفق (ويعني) التناسق في الدلالة والتلاقي في المعاني على الوجه الذي اقتضاه العقل»[2].

ويبين أن المعاني التي يتعلق بها الفكر ويتربها في النفس إنما هي معاني النحو وليست معاني الكلمات في ذاتها. يقول: «إنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفراداً ومجردة من معاني النحو، فلا يقوم في وهم لا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى فعل من غيرأن يريد إعماله في اسم، ولا أن يتفكر في معنى اسم من غيرأن يريد إعمال فعل فيه وجعله فاعلا له أو مفعولاً، أو يريد منه حكماً سوى ذلك من الأحكام... وإن أردت أن ترى ذلك عيانا فاعمد إلى أي كلام شئت، وأزل أجزاءه عن مواضعها، وضعها وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها. فقل في «قفا نبك

(١) دلائل الإعجاز: ٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ٤٠ ، ٤١.

من ذكرى حبيب ومنزل: من نبك قفا حبيب ذكرى منزل، ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها؟...»[1].

فواضح مما ذكر أن الفكر لا يتعلق بمعاني الألفاظ في أنفسها، إنما يتعلق بمعاني النحو التي يقوم على أساسها ترتيب معاني الألفاظ في النفس، ثم نرتبها على أساس ترتيب معانيها عند تواليها في النطق.

ولذلك يؤمن بأن التفسير الصحيح للإعجاز النظمي ينبغي أن يطلب في علاقات الكلام النحوية أو معاني النحو كما يسميها. فالنظم عنده هو «توخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام»[2]. ويريد بمعاني النحو الخصوصيات التي هي مقتضى الحال كالتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف وغيرها، والأغراض في التعريف هي الأحوال الداعية إليها أو المعاني الثانوية التي يقصد من الخصوصيات إفادتها[3]. وبذلك استطاع عبد القاهر «أن يفسر النظم تفسيرا رده فيه إلى المعاني الإضافية التي تلتمس في ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالاته في النفس، وهي معان ترجع إلى الإسناد وخصائص مختلفة في المسند إليه والمسند وفي أضرب الخبر وفي متعلقات الفعل من مفعولات

(١) المصدر السابق: ٣١٤.

(٢) المصدر السابق: ٦٩ ، ٢٨٢.

(٣) انظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: عبد المتعال الصعيدي، ١/٢٧ ، ٢٨، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة، ط/٦ (بلا تاريخ).

وأحوال، وفي الفصل بين الجمل والوصل وفي القصر وفي الإيجاز والإطناب»[1].

وهذه الموضوعات هي التي ألف منها من جاء بعده من علماء البلاغة المتأخرين أبواب علم المعاني. يقول الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ): «وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم»[2].

ويتوسع عبد القاهر في مفهوم النظم فيدخل فيه الصور البيانية فهي جزء في النظم وليست سر جماله وإعجازه، فذهب إلى أن «الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم، وعنها يحدث، وبها يكون، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخَ فيما بينها حكم من أحكام النحو ... فلا يتصور فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره...»[3].

ويعقد في كتابه «دلائل الإعجاز» فصلا «في النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع» عد منه بعض أنواع البديع كالمزاوجة والتقسيم. وذكر أن «ما شأنه أن يجيء على هذا الوصف (ليس له) حد يحصره ولا قانون يحيط به»[4]. وتبعه في هذا فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) في كتابه «نهاية الإيجاز

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ: ١٨٩.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط/٥، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

(٣) دلائل الأعجاز: ٣٠٠ – ٣٠٠١، وانظر: البلاغة تطور وتاريخ: ١٦٣ ، ١٦٨.

(٤) انظر: دلائل الإعجاز: ٧٣ ، ٧٤.

في دراية الإعجاز» فعد من القسم الثاني من النظم ثلاثة وعشرين وجها جلها من أنواع البديع المعنوية منها المطابقة والمقابلة[1].

وهذا الفهم العلمي للنظم عند عبد القاهر الذي يؤكد الصلة الوثيقة بين التفكير والتعبير يلتقي ومفهوم الأسلوب عند ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) الذي يربط الصورة اللفظية بالصورة المعنوية أو الشكل بالمضمون، وعند بعض الباحثين المعاصرين من أمثال الأستاذ أحمد الشايب الذي يرى أن الأسلوب «معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظاً منسقة، وهو يتكون في العقل قبل أن ينطق به اللسان، وأنه طريقة التفكير والتصوير والتعبير»[2].

ومعنى ذلك أن النظم عند عبد القاهر يعني الأسلوب، وقد استخدمه في موضع يتيم من كتابه «دلائل الإعجاز» فعرفه بقوله: «والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه...»[3] مؤثراً مصطلح النظم لشيوعه في الدراسات القرآنية.

هذا ويستمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) فهمه للنظم من مفهومه عند عقد القاهر «فنظم الكلام كما يتصوره الزمخشري يعني بيان الروابط

(١) انظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، ٢٨٣ – ٢٩٧، تح: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط/١، ١٩٨٥م.

(٢) الأسلوب: أحمد الشايب: ٤٠ ، ٤٥، مكتبة النهضة المصرية، ط/٦، ١٩٦٦، وانظر: مقدمة ابن خلدون/ عبد الرحمن خلدون: ٥٠٥، دار التحرير، القاهرة، ١٣٨٦هت = ١٩٦٦م.

(٣) دلائل الإعجاز: ٣٦١، وانظر: الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي: د. شفيع السيد، ٢٢ ، ٢٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م.

والعلاقات بين الجمل، وكيف يدعو الكلام بعضه بعضا، وكيف يأخذ بعضه بحجزة بعض»[1]. وحاول الزمخشري تطبيق نظرية النظم عند عبد القاهر في تفسيره الكشاف، وحاول ذلك غيره من المفسرين كالرازي وأبي السعود وغيرهما.

ودخل مصطلح النظم بمعناه عند عبد القاهر في كتب التعريفات والمصطلحات فقال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ): «النظم في اللغة: جمع اللؤلؤ في السلك. وفي الاصطلاح: تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني.. على حسب ما يقتضيه العقل»[2] كما أشرت آنفا.

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٣٦.

(٢) التعريفات: ٢٤٢.

٢- سورة النبأ:

أ-أسماؤها وتاريخ نزولها وسببه:

لهذه السورة الكريمة أسماء متعددة. فتسمى سورة النبأ لقوله تعالى في مطلعها: «عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ»، وبه سميت في أكثر المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة. وتسمى سورة « عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ » وسورة (عم) بدون زيادة (تَسَآءَلُونَ) تسمية لها بأول جملة فيها، وتسمى (التساؤل) لوقوع (يتساءلون) في صدرها، وتسمى سورة (المعصرات) لقوله تعالى فيها: (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا)(١). ولا شك في أن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى.

وسورة النبأ مكية، ومن قصار السور، وعدد آياتها أربعون آية، وعدد كلماتها مائة وثلاثون كلمة، وعدد حروفها ستمائة وتسعون حرفاً(٢).

وقد نزلت بعد سورة المعارج، وقد نزلت سورة المعارج بعد الإسراء وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة النبأ في ذلك التاريخ(٣). وقيل في سبب نزولها:

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، ١٣/١، ١٥، ٧٣، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة ط/٤، ١٣٨٩هـ = ١٩٧٨م، وانظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهرين عاشور، ٥/٣٠، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط/١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: تنوير المقياس من تفسير ابن عباس: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ٣٧٨، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط/٢، ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م، وانظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٥/١، والكشاف: جار الله الزمخشري، ١٧٦/٤، دار المعرفة، بيروت (بلا تاريخ).

(٣) انظر: النظم الفني في القرآن: عبد المتعال الصعيدي، ٣٣٧، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة (بلا تاريخ).

«إنه لما بعث رسول الله - ﷺ - ، وأخبرهم بتوحيد الله والبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن، جعلوا يتساءلون بينهم. يقولون: ماذا جاء به محمد؟ وما الذي أتى به؟ فأنزل الله عَمَّ يتساءلون، عن النبأ العظيم»[1].

ب- الغرض منها وأقسامها بحسب معانيها:

يقرر الباحثون في بلاغة القرآن أن لكل سورة في القرآن الكريم غرضا عاما ترمي إليه، وتدور حوله آياتها، وتتبعه معانٍ أخرى تؤكده[2].

وسورة النبأ من سور العهد المكي «وهدف ما نزل في هذا العهد من الآيات والسور توطيد أسس العقيدة الإسلامية الجديدة، وإحلالها محل العقيدة الوثنية»[3]. لذلك فهدف سورة النبأ وغرضها العام يدول حول «إثبات عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المشركون، والدلالة على أن يوم القيامة ثابت ثباتاً لا يحتمل شكا ولا خلافا»[4].

وقد اقتضى ذلك الغرض أن تأتي آيات هذه السورة الكريمة مترابطة الاجزاء متسلسلة المعاني؛ لتحقق غرضها وتستوفي موضوعها من جميع

(١) انظر: لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي، ٣٢٤، دار المعرفة، بيروت، ط/٢، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، وفتح القدير: محمد بن علي الشوكاني: ٣٦٢/٥، دار المعرفة، بيروت (بلا تاريخ).

٢() انظر: من بلاغة القرآن: د. احمد احمد بدوي، ٢٣٤، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م،

(٣) من منهل الأدب الخالد: محمد المبارك، ٣٣، دار الفكر، بيروت، ط/٤، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٣م.

(٤) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي، ٢٩٤/٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥، وصفوة التفاسير: محمد على الصابوني، ١٣٥٤/٣، دار الكتب العلمية، بيروت ط/١، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

جوانب ونواحيه. ويمكن تقسيم سورة النبأ بحسب معانيها ومضامينها إلى خمسة مقاطع أو أقسام.

١- افتتحت السورة باستفهام يتضمن استنكاراً لتساؤل المشركين عن النبأ العظيم، وخوضهم فيه إنكارا واستهزاء «وكأنما هذا التساؤل غير مفهوم ولا معقول فالأمر بديهي معلوم»[١].

واقتضى ذلك تهديدهم ووعيدهم «عَمَّ يَتَسَآءلُونَ. عَنِ النَّبأ العَظِيمِ. الذي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ. كَلاَّ سَيَعْلمونَ. ثُمَّ كَلاَّ سيُعلمُونَ». وهي افتتاحية مدوية، تتناسب وحال المخاطبين الغافلين لإيقاظهم واستثارة حسهم وحواسهم.

٢- ثم تقيم السورة الدلائل والبراهين على كمال قدرة رب العالمين على ما يشاء من أمر المعاد وغيره بطريقة برهانية باهرة تضطر العقل إلى التسليم والإذعان؛ فإن الذي يقدر على خلق العجائب والبدائع كالأرض والسماء وما بينهما لا يعجزه إعادة خلق الإنسان بعد فنائه «ألم نَجْعل الأرض مهاداً، والجبال أوتادا. وخلقناكم أزواجاً. وجعلنا نومكم سُبَاتاً. وجعلنا الليل لباساً. وجعلنا النهار معاشا. وبنينا فوقكم سبعاً سُباتاً. وجعلنا سراجاً وهاجاً. وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً. وجنات ألفافاً».

٣- ولما أثبتت السورة حقيقة البعث والجزاء حددت وقته وميعاده وعلاماته، وهو يوم الفصل بين العباد، يوم القيامة، حيث يجمع الله الأولين

(١) مشاهد القيامة في القرآن: سيد قطب، ١٨٨، دار الشروق، بيروت (بلا تاريخ).

والآخرين للحساب «إن يوم الفصل كان ميقاتا. يوم ينفخ في الصُّورِ فَتَأتون أفواجاً. وفتحت السماء فكانت أبواباً. وسيرت الجبال فكانت سراباً».

٤- ثم شرعت السورة في تفصيل أحكام الفصل والجزاء من رب العالمين، الرحمن الرحيم، مصورة مصير الطغاة ومصير التقاة، على طريقة القرآن في الجمع بين الترهيب والترغيب في مشهدين متقابلين متضادين: مشهد العذاب للكافرين بكل قوته وعنفه: «إن جهنم كانت مرصاداً. للطاغين مآبا. لابثني فيها احقاباً. لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً. إلا حميماً وغساقاً. جزاءً وفاقاً. إنهم كانوا لا يرجون حساباً. وكذبوا بأياتنا كذاباً. وكل شيء أحصيناهُ كتاباً. فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً». ومشهد النعيم للمتقين وهو يتدفق تدفقاً: «إن للمتقين مفازاً. حدائق وأعناباً. وكواعب أترابا. وكأساً دهاقاً. لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً. جزاءً من ربك عطاءً حساباً. رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً....».

٥- وتختم السورة بالحديث عن هول يوم القيامة، وأنه حق لا ريب فيه، وإنذار الكافرين بالعذاب الأليم، حيث يتمنون حينئذ أن يكونوا تراباً فلا يحشرون ولا يحاسبون «ذلك يوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا. إنا أنذرناكم عذاباً قريباً. يوم ينظر المرء ما قدمت يداهُ ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً».

ذلك تحليل مجمل لمنهج السورة في عرض مضامينها، ومن خلاله تبدو وحدتها الموضوعية، فهي نسيج واحد تتسلسل معانيها، وتتعانق أجزاؤها ومقاطعها؛ لتستوفي مقصودها، وتحقق هدفها وغرضها العام، فآياتها من

مطلعها إلى ختامها تدور حول محور واحد هو إثبات عقيدة البعث والجزاء، وتقرير حقيقة يوم القيامة. فمن سؤال استنكاري عن خوض المخاطبين في النبأ العظيم استهزاء وإجابة عنه إلى تهديد يعقبه، إلى استدلال على ثبوته وصحة وقوعه وتحديد وقته، وما يترتب عليه من الجزاء ثواباً وعقاباً، إلى تأكيد حقيقته وأنه لا ريب فيه وإنذار المكذبين له.

هذا وقد جاءت تلك المقاصد والمعاني في نظام بياني فريد، وفي نسق بلاغي معجز يتبوأ من البلاغة ذروتها. وفيما يأتي دراسة لأسرار نظم هذه المعاني، وخصائصه البلاغية، مقسمة بحسب عناصر النظم وأجزائه: اللفظ والتركيب والتصوير.

الفصل الأول

من خصائص اللفظ في سورة النبأ

الفصل الأول

من خصائص اللفظ في سورة النبأ

إذا كانت اللفظة في الاستخدام العادي للغة أداة في توصيل المعنى، فهي في الاستعمال البليغ وسيلة جمالية تسهم داخل العبارة أو النص في نقل الأفكار والمعاني وتصويرها بغية الإقناع والإمتاع والتعبير والتأثير.

وقد اهتم العرب بألفاظهم ودققوا في انتقائها؛ لتؤدي وظيفتها. يقول ابن جنّي مشيراً إلى هذا الاهتمام: «...فإنها (الألفاظ) لما كانت عنوان معانيها، وطريقاً إلى إظهار أغراضها ومراميها، أصلحوها، ورتبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها، ليكون ذلك أوقع لها في السمع، وأذهب بها في الدلالة على القصد...»[1]. وعنايتهم باللفظ نابعة من عنايتهم بالمعنى لأن «اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته...»[2].

ولذلك عُني البلاغيون والنقاد بالألفاظ مفردة مركبة، ووضعوا لها صفات ومقاييس تحسن بها إذا توفرت فيها، وتقبح إن خلت منها، وهي مبثوثة في كتب البيان والبلاغة كالبيان والتبين وسر الفصاحة والمثل

---

(١) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، ٢١٥/١، ٢١٦، دار الكتب المصرية، ط/٢، ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ١٢٤/١، دار الجيل، بيروت، ط/٤، ١٩٧٢م.

السائر[1]، وقد أجملها البلاغيون المتأخرون في قولهم: «أما فصاحة المفرد فهي خلوصة من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي... وأما فصاحة الكلام فهي خلوصة من ضعف التأليف وتنافر الكلمات، والتعقيد مع فصاحتها...»[2].

والقرآن الكريم نزل «بلسان عربي مبين»، وألفاظه – كما يقول الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): «هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه...»[3]. والمفردة القرآنية لها من حيث ذاتها أي بغض النظر عن موقعها من الآية أو الجملة خصائص جمالية تلتقي في عمومها مع السمات الجمالية للفظة المفردة في غير القرآن، ثم تتجاوزها إلى الإعجاز بما لها من خصائص في سياقها الذي ترد فيه.

ومن خصائص اللفظة القرآنية تميزها بدقة اختيارها، وجمال وقعها في السمع، واتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة

---

(١) انظر: البيان والتبين: أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، ١/٨٣، ١٤٤، ٣٧٨، بيروت، ١٩٤٨م، وانظر: سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، عبد المتعال الصعيدي، ٥٤، ٨٢، مطبعة صبيح، القاهرة، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م، وانظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثير، تح: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، ١/٢٤٥ – ٤٥١، مطابع الفرزدق، الرياض، ط/٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: ١/١، ١٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: محمد خليل عيتاني، ١٠، دار المعرفة، بيروت، ط/١، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

دلالات الكلمات الأخرى[1].

١- ومن مظاهر تميز اللفظة في سورة النبأ الدقة في اختيارها ووضعها في موضعها فهي مختارة من بين مجموعة من الألفاظ وهو اختيار اقتضاه دقة معنى الآية أو الجملة الواردة فيها، وهي متمكنة في موقعها في الجملة كأنها خلقت لذلك خلقا.

وقد دعا القرآن ألا يستخدم لفظ مكان آخر فقال تعالى: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم»[2].

وقد نبه علماء البيان والمفسرون إلى هذه الخاصية في نظم القرآن كالجاحظ[3] والخطابي[4] وابن عطية الذي قال: «كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد...»[5].

- واختيار الألفاظ ووضعها في مواضعها تبدو في سورة النبأ – كسائر سور القرآن الكريم – في غاية الدقة والإبداع المعجز، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها تستخدم السورة منها ما يؤدي معناه في دقة فائقة،

(١) انظر: التعبير الفني في القرآن: د. بكري شيخ أمين، ١٨١، دار الشروق، بيروت، ط/٣، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(٢) سورة الحجرات: ١٤ .

(٣) انظر: البيان والتبين: ١/ ٢٠، وانظر: بيان إعجاز القرآن: ٢٦.

(٤) انظر: البيان والتبين: ١/ ٢٠، وانظر: بيان إعجاز القرآن: ٢٦.

(٥) المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، تح: المجلس العلمي بفاس، ١/ ٣٨، ٣٩، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

فكل لفظة منها وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء. من ذلك لفظة «النبأ» في مطلع هذه السورة الكريمة «عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ » . فالمراد بالنبأ العظيم القرآن، وقيل: البعث من القبور، وهو رأي الجمهور، وهو الأظهر كما يقول ابن كثير[١]، وهو الأنسب بالآيات كما يقول الألوسي[٢].

وأوثر التعبير بلفظ «النبأ» على الخبر لأنه أدق في أداء المعنى المراد لأن النبأ الخبر عن أمر عظيم هام يعنى به ويهتم بشأنه، يقول الراغب "النبأ: خبر ذو فائدة عزيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة (ويكون صادقا)...»[٣]. ويقول صاحب التحرير والتنوير: «وهذا فرق حسن، ولا أحسب البلغاء جروا إلا على نحو ما قال الراغب، فلا يقال للخبر عن الأمور المعتادة: نبأ...»[٤] وإذا كان «النبأ» لا يقال إلا الخبر عظيم الشأن فما السر البلاغي في وصفه بالعظيم في هذه الآية؟ يقول صاحب نظم الدرر: «... ولما كان في مقام التفخيم له وصفه تأكيداً بقوله: العظيم»[٥]. ففي الوصف «زيادة في التنويه به؛ لأن كونه واردا من عالم الغيب زاده عظم أوصاف وأهوال...»[٦].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تح: سامي بن محمد السلامة، ٣٠٢/٨، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، وروح المعاني: شهاب الدين محمود الألوسي، ٢٠١/٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م، والتفسير الكبير: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ٥٠٤/٣١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٢١هـ، والمحرر الوجيز: ٤٢٣/٥، ونظم الدرر، ٢٩٥/٨، وفتح القدير: ٣٦٢/٥، وصفوة التفاسير ١٣٥٥/٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٤٨٢.

(٤) التحرير والتنوير: ٩/٣٠.

(٥) التحرير والتنوير: ٩/٣٠.

(٦) نظم الدرر: ٢٩٥/٨.

- ومن الدقة في اختيار الألفاظ ما نلحظه في آيات المقطع الثاني الواردة في سياق الاستدلال على صحة وإمكان البعث بخلق المخلوقات العظيمة الدالة على قدرة الخالق – سبحانه وتعالى – على إعادة خلق الإنسان بعد فنائه: «أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا.».

تأمل هذه الآيات الكريمة تجدها آثرت التعبير بفعل «جعلنا» عند الاستدلال بخلق الأرض والجبال ونظام النوم في الإنسان والليل والنهار والشمس دون فعل خلقنا الذي استعمل عند الاستدلال بخلق الإنسان في «وخلقناكم أزواجا» وذلك «لأن فعل الجعل يتعلق بالأحوال وفعل الخلق يتعلق بالذوات»[(١)].

فجعل الأرض مهادا يعني خلقها على تلك الحالة ممهدة للخلائق ذلولا لهم ساكنة ثابتة للاستقرار عليها[(٢)]. فاختير التعبير بنجعل دون نخلق «لأن كونها مهادا حالة من أحوالها عند خلقها أو بعده بخلاف فعل الخلق فإنه يتعدى إلى الذات غالباً، أو إلى الوصف المقوِّم للذات نحو: «الذي خلق الموت والحياة»[(٣)].

(١) المرجع السابق: ٣٠/١٢، ١٧ .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٠٢/٥، وصفوة التفاسير: ١٣٥٥/٣.

(٣) التحرير والتنوير: ١٣/٣.

ومثله إيثار التعبير بجعلنا في «وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا» على خلقنا؛ لأن النوم كيفية يناسبها فعل الجعل لا فعل الخلق المناسب الذوات. وكذلك قوله «وجعلنا الليل لباسا. وجعلنا النهار معاشا. وجعلنا سراجا وهاجا». وآثر التعبير بفعل الخلق في «وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا»؛ «لأنه تكوين ذواتهم فهو أدق من الجعل... فالمقصود الاستدلال بخلق الناس، وبكونهم أزواجاً، فلما كان المناسب لفعل خلقنا أن يتعدى إلى الذوات جيء بمفعوله ضمير ذوات الناس (كاف الخطاب)، ولما كان المناسب لكونهم أزواجاً أن يساق مساق إيجاد الأحوال جيء به حالاً من ضمير الخطاب في خلقناكم، ولو صرح له بفعل لقيل: وخلقناكم وجعلناكم أزواجا»[1].

- ومن الدقة إيثار التعبير بفعل "لنخرج" «دون لننبت في قوله تعالى: «وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً. لنخرج به حباً ونباتاً. وجناتٍ ألفافاً». «لأن المقصود الإيماء إلى تصوير كيفية بعث الناس من الأرض إذ ذلك المقصد الأول من هذا الكلام ألا ترى أنه لما كان المقصد الأول من آية سورة (ق) هو الامتنان جيء بفعل «أنبتنا» في قوله: «ونزلنا من السماءِ ماءً مباركاً فأنبتنا به جناتٍ». ثم أتبع ثانياً الاستدلال به على البعث بقوله: «كذلك الخروج»، والبعث خروج من الأرض. قال تعالى: « وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى»... ووجه إيثار لفظ «جنات» في قوله «وجنات ألفافا» لأنه فيه إيماء إلى إتمام المنة؛ لأنهم كانوا يحبون الجنات والحدائق لما فيها من التنعيم بالظلال

---

(١) المرجع السابق، ٣٠/١٦.

والثمار والمياه وجمال المنظر، ولذلك أتبعت بوصف «ألفافا» لأنه يزيدها حسنا...»[(١)].

- وإذا انتقلنا إلى المقطع الرابع من السورة الذي يصور عذاب الكافرين «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ... فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا» فسنجد إبداعاً معجزاً في اختيار المفردات «جهنم، مرصادا، للطاغين، أحقابا، حميماً، غساقا» ففيها ضخامة تملأ الفم، ورعب يملأ الفؤاد، ولو أبدلت في غير القرآن بمرادفاتها لتغيرت الصورة ولخلت من التأثير، وانظر إلى «الأحقاب» في قوله: «لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا»، وأوثرت على الأيام «لان الأحقاب – كما روى القرطبي – أهول في القلوب، وأدل على الخلود»[(٢)].

- وإذا تأملنا المشهد المقابل الذي يصف نعيم المتقين «إن للمتقين مفازاً، حدائق وأعناباً...» فسنجد الإبداع المعجز في اختيار المفردات، ومنه إيثار «مفازا» والمراد بها الجنة ونعيمها، وأوثرت على الجنة «لأن في اشتقاقها إثارة الندامة في نفوس المخاطبين بقوله: «فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا» وبقوله: «فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا»[(٣)].

(١) المرجع السابق، ٢٥/٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح: هشام البخاري، ١١٩/١٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م. التحرير والتنوير: ٣٩/٣٠.

(٣) التحرر والتنوير ٣٩/٣٠.

وخص «الرحمن» بالذكر في قوله: « رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا » دون غيره من الأسماء الحسنى (لأن في معناه إيماء إلى ما يفيضه من خير على المتقين في الجنة هو عطاء رحمان بهم. وفي ذكر هذه الصفة الجليلة تعريض بالمشركين إذ أنكروا اسم الرحمن الوارد في القرآن كما حكى الله عنهم بقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ }[1].

وإطلاق صفة الرحمن في قوله: (إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ) على مقام الجلالة إيماء إلى أن إذن الله لمن يتكلم في الكلام أثر من آثار رحمته، لأنه إذن فيما يحصل به نفع لأهل المحشر من شفاعة أو استغفار[2].

٢- تنوع التعبير بالفظ عن المعنى:

ومن خصائص اللفظ في سورة النبأ تنوع التعبير به عن المعنى المراد، وهذا التنوع يأتي لمعانٍ وأسرار بلاغية، ترتبط بموقع الكلمة في سياق النظم الذي وردت فيه، ويتمثل في الصيغ والظواهر البلاغية الآتية: التنكير والتعريف، والإظهار والإضمار، والتعبير بالماضي عن المستقبل والالتفات.

(١) سورة الفرقان:، وانظر المرجع نفسه: ٣/ ٤٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٧.

أ-التنكير والتعريف:

- وهما من أحوال أجزاء الجملة، والمعنى الأصلي للتنكير الدلالة على فرد غير معين من أفراد الجنس، ويأتي لمعانٍ بلاغية[1] تستفاد من علاقة الكلمة النكرة بالسياق والمقام الذي وردت فيه، ومنه في سورة النبأ قوله تعالى: {وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا} فتنكير «ماء» لإفادة التكثير. ومنه تنكير «أفواجاً» للتكثير في قوله: {يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} والمراد بالنفخة نفخة البعث من القبور إلى الموقف، وأفواجاً: أي جماعات جماعات وأمما أمما.

ومنه تنكير «خطابا» في قوله: {لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا} والمعنى: لا يملكون أن يسألوا إلا فيما إذن لهم فيه، والتنكير للتقليل أي لا يملكون معه خطابا ولو كان قليلا، جملة أو كلمة. ومنه تنكير «عَذَابًا» للتهويل في قوله: {إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا} فهو لبيان شدة العذاب وقسوته، ووصفه بأنه قريب لتحقق وقوعه، وعبر بكلمة «أنذرناكم» لما لها من الفاعلية في التخويف، فالإنذار ينبيء بنهاية التخويف وبعد مداه[2].

- والتعريف ضد التنكير، ويأتي لمعان بلاغية تختلف باختلاف أنواع المعارف[3]. ومنه في هذه السورة الكريمة تعريف «النبأ» باللام أو بأل في قوله

(١) انظر: بغية الإيضاح: ١٠١/١ وما بعدها، ٣٠٢ وما بعدها.

(٢) انظر: بغية الإيضاح: ١٠١/١ وما بعدها، ٣٠٢ وما بعدها.

(٣) انظر: بغية الإيضاح: ٨٢/١ وما بعدها، ٢٠٢/١ وما بعدها.

«عن النبأ العظيم» فالتعريف فيه للجنس على وجه، فيشمل كل نبأ عظيم أنبأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم به، وأول ذلك إنباؤه بأن القرآن كلام الله، وما تضمنه القرآن من إبطال الشرك، ومن إثبات بعث الناس يوم القيامة[1].

ومن تعريف المسند إليه بالإشارة للتعظيم قوله: « ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ...» ففي "ذلك" إشارة على يوم القيامة، تفيد بعد منزلته وتعظيمه، وهو حق لأنه يدفع كل باطل، وعرف اليوم الحق باللام للدلالة على كماله في هذا المعنى، وفيه تخصيص له بالحق وما عداه فهو باطل.[2]

ب- الإضمار في موضع الإظهار والإظهار في موضع الإضمار:

- وهما من صور خروج اللفظ على خلاف مقتضى الظاهر، وخروج الإضمار والإظهار عن مقتضى الظاهر لنكت وأسرار بلاغية[3]. يسهم في تحديدها سياق الكلام وقرائن الأحوال، ويدركها من كان ذا ذوق بلاغي سليم.

ومن الإضمار في مقام الإظهار قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ فالضمير في «يستاءلون» لكفار قريش، وإن لم يسبق ذكرهم للاستغناء عنه بحضورهم

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠/٩ ، ١٠.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم على مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي: ٦/ ٣٢٢،دار الكتب العلمية،بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ١٩٩٩م، والبلاغة القمية.

(٣) انظر: بغية الإيضاح: ١٤٧/١ – ١٥٠، وانظر: علوم البلاغة: أحمد مصطفى المراغي، ١٤٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ٢، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

حساً، مع ما في الإضمار من التحقير والإهانة لإشعاره بان ذكرهم مما يصان عنه ساحة الذكر الحكيم. وأجاز بعض المفسرين أن يكون ضمير يتساءلون للناس عموماً، فيشمل الكافرين والمؤمنين. وسؤال المسلمين ليزدادوا خشية وإيماناً، وسؤال غيرهم ليزدادوا كفراً وطغياناً[(1)]، وهو خلاف ما يقتضيه الوعيد في قوله: «كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» فإنه إنما يتوجه إلى الكفار.

ومن الإظهار في مقام الإضمار قوله تعالى: (لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا) فالمراد بالطاغين المشركون المخاطبون بقوله: { فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا } وعدل عن الإضمار إلى الإظهار لقصد الإيماء إلى سبب جعل جهنم لهم؛ لأن الشرك أقصى الطغيان. فالمشركون أعرضوا عن عبادته تعالى وهم المقصود من معظم ما في السورة. فالتعبير بالطاغين إظهار في مقام الإضمار للتسجيل عليهم بوصف الطغيان؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقال: لكم مآبا. وهذا على عد جملة (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) في موضع خبر ثان من قوله: (إن يوم الفصل...) ويجوز أن تكون جملة (إن جهنم) مستأنفة استئنافا بيانياً عن جملة: (إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ...) وعليه فليس في قوله (لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا) تخريج على خلاف مقتضى الظاهر[(2)].

- ومن الإظهار في موضع الإضمار قوله تعالى: { رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ

---

(١) انظر: التفسير الكبير: ٤/٣١، والمحرر الوجيز: ٤٢٣/٥، وروح المعاني: ٢٠٢/١٥، وفتح القدير: ٣٦٣/٥.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠/٣١ – ٣٣.

لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا } فإظهار الرحمن في مقام الإضمار ((للإيذان بأن مناط الإذن هو الرحمة البالغة لا أن أحداً يستحقه عليه سبحانه وتعالى))[1].

- ومن وضع الظاهر موضع المضمر قوله: { يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا } فالمراد بالمرء – كما يقول المفسرون – الكافر لقوله تعالى: { إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا } وعليه فالكافر وضع موضع الضير لزيادة الذم. وقيل: المرء عام للمؤمن والكافر وقيل: هو المؤمن، وعليهما فلا شاهد في الآية[2].

ج- التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي:

ومن صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر المتصلة بصيغ الأفعال التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي (تنبيها على تحقق وقوعه)[3].

ومنه في سورة النبأ قوله تعالى: { وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا } فقد فسر الفتح بالشق، وعبر بالماضي ليدل على تحقق وقوع الفعل أي تفتح السماء على وجه اليقين لتنزل الملائكة. وكانت بمعنى صارت، وقرئ بالتشديد (وَفُتِّحَتِ) وهو الأنسب – كما يقول المفسرون – بقوله: (فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا) لدلالة تنكير «أبوابا» على التكثير أي كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولاً

(١) تفسير أبي السعود: ٣٦٢/٦.

(٢) انظر: الكشاف: ١٨٠/٤، وتفسير أبي السعود: ٣٣٣/٦، وروح المعاني ٢٢٤/١٥.

(٣) انظر: بغية الإيضاح: ١٦٢/١.

غير معتاد حتى صارت كأنها ليست إلا أبوابا مفتحة، وإيثار التعبير بالفتح (للإشارة إلى كمال قدرته تعالى حتى كان شق هذا الجرم العظيم كفتح الباب سهولة وسرعة)[١].

ومنه قوله: (إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا) فكان بمعنى يكون وعبر عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه. وقيل كان في الآية لا تفيد المضي؛ لأن يوم الفصل غير مقيد بالزمن الماضي، فهو أمر مقرر لا جدال فيه، قبل حدوث الزمان أيضاً ولذا أكد بأن وعلى هذا فلا شاهد في الآية[٢].

ومنه قوله: (وَقَالَ صَوَابًا) أي ويقول، فعبر عنه بالماضي لإفادة تحقق ذلك في علم الله.

د- الالتفات:

وهو من صور الخروج عن مقتضى الظاهر، ويدور معناه في اللغة حول الانصراف عن الشيء. وهو عند جمهور البلاغيين (التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (التكلم والخطاب والغيبة) بعد التعبير عنه بطريق آخر منها)[٣]. وعند الزمخشري والسكاكي مخالفة مقتضى الظاهر في التكلم والخطاب والغيبة سواء تقدم التعبير عنه أم لا [٤]. وهو فن من البلاغة يكسب الأسلوب تلوينا وتنويعاً بجذب السامع، ويثير انتباهه فتزداد المعاني تقريرا في نفسه.

---

(١) روح المعاني: ٢١٢/١٥، وانظر: تفسير أبي السعود: ٣٥٨/٦، والبلاغة القيمة: ١٠ .

(٢) انظر: روح المعاني: ٢١٢/١٥، وتفسير أبي السعود: ٣٥٨/٦، والبلاغة القيمة: ٩ .

(٣) انظر: لسان العرب: «لفت»، وبغية الإيضاح: ١٥٢/١.

(٤) انظر: الكشاف: ١٠/١، ومفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، ٩٦، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط/١، ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م.

وهو ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم، ويرد في صور متعددة[1]. ومنه في سورة النبأ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله: (عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ).

فيكون الضمير جماعة المخاطبين، ومقتضى الظاهر أن يقال: (يَتَسَآءَلُونَ). ويجوز أن يكون ضمير يتساءلون ضمير جماعة الغائبين مرادا به المشركون كما أسلفت، وعليه فلا يكون من باب الالتفات[2]. ومنه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب على قراءة (سَيَعْلَمُونَ) بالتاء. يقول أبو السعود: ((وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات إلى الخطاب الموافق مما بعده من الخطابات تشديداً للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم، فإن فيه من الإخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى))([3]). ويقول صاحب نظم الدرر((إنه أعظم في الوعيد وأدل على الاستعطاف للمتاب))([4]).

ومنه قوله((أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا)) التفات من الغيبة إلى الخطاب على القراءة المشهورة في ستعلمون بالياء للمبالغة في الإلزام والتبكيت يقول ابن عاشور: (والكلام موجه إلى منكري البعث وهم الموجه إليهم الاستفهام، فهو من قبيل الالتفات ؛لأن توجيه الكلام في قوة ضمير الخطاب بديل عطف ((وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا))[5].

---

(١) انظر: مفتاح العلوم: ٩٦، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢/١٨١، والإيضاح: ١/١٥٧ وما بعدها.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠/٨.

(٣) تفسير أبي مسعود:٦/٣٥٤، وانظر:روح المعاني:١٥/٢٠٤.

(٤) نظم الدرر:٨/٢٩٦.

(٥) التحرير والتنوير:٣٠/١٢.

الفصل الثاني

من خصائص التركيب في سورة النبأ

الفصل الثاني

من خصائص التركيب في سورة النبأ

التركيب عند النحاة مقابل للإفراد، ويطلق في اصطلاحهم على الجملة ((المفيدة فائدة يحسن السكون عليها))[1]. والجملة القرآنية بناء محكم، تألفت من كلمات قد اختيرت أدق اختيار، وانتظمت في سلك من النظام، فلا ضعف ولا تعقيد، بل حسن تأليف ودقة تنسيق، وتلازم وإحكام وإتقان.((وهي تتبع المعنى... فتصوره بألفاظها؛ لتلقيه في النفس حتى إذا استكملت الجملة أركانها برز المعنى ظاهراً فيه المهم والأهم، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية..ولكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الآية ضرورة لا معدىً عنه))[2].

وإذا كان علماء البلاغة يجعلونها في درجات أو طبقات، فإنهم مقرون بأن نظم القران وبناء جملة وتراكيبه في الطرف الأعلى من البلاغة الذي هو الحد الإعجاز القرآني.

ومن خصائص الجمل والتراكيب في سورة النبأ تنوعها إلى جمل إنشائية وخبرية، واسمية وفعلية، ومن خصائصها التقديم والتأخير والفصل والوصل والإيجاز والإطناب وفيما يأتي دراسة لبلاغتها وأسرار النظم القرآني فيها.

---

(١) شرح ابن عقيل بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تح:محمد محي الدين عبد الحميد ، ١٩/١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

(٢) من بلاغة القران:١٠٥.

١- الجملة الخبرية والإنشائية:

- تنقسم الجملة المفيدة إلى قسمين:خبرية وإنشائية. ويعرف الخبر بأنه: ((كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده، كقولك:قام زيد، فقد أفدته العلم بقيامه...))([١]) .ويعرف أيضا بأنه: ((كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته))([٢]).

والجملة الخبرية هي الغالبة في سورة النبأ، وقد أتت مؤكدة بتكرار الجملة لتأكيد الإنذار والوعيد كقوله تعالى: ((كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ))، وقد وردت مؤكدة بأدوات التوكيد على صورة الخبر الطلبي أو الإنكاري كقوله تعالى: ((إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا)) وهو تأكيد اقتضاه حال المخاطبين المتسائلين عن النبأ العظيم المختلفين فيه بين شاك فيه ومكذب به أو منكر له([٣]). وجاءت الجملة الخبرية مؤكدة للدلالة على الاهتمام بالخبر لئلا يشك فيه أحد كقوله تعالى ((إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا)) وكقوله تعالى((إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا)) فالتأكيد بإن في الآية للاهتمام بالخبر وليس لرد الإنكار إذ لا ينكر أحد أنهم لا يرجون حسابا، أي لا يرجون وقوع الجزاء، أنهم مكذبون بالقران([٤]).

([١])البرهان في وجوه البيان: إسحاق بن إبراهيم بن وهب، ٩٣، تح: د.حفني محمد شرف/القاهرة، ١٩٦٩م.

([٢]) انظر:مفتاح العلوم:٧٨.

([٣]) انظر:فتح القدير: ٥/ ٣٦٣.

([٤]) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٥/ ٣٩.

وقد أتت الجملة الخبرية مؤكدة بالقصر على رأي من يعده من أساليب التوكيد[1] في قوله تعالى: ((لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا)) وفي قوله تعالى: ((لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا)) .

وجاءت الجملة الخبرية اسمية نفيد الثبوت كقوله تعالى:(ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ).

فصلة الموصول جملة اسمية للدلا لة على الث بات،فاختلافهم في النبأ العظيم متمكن.

منهم دائم فيهم، فمن جازم باستحالته، ومن شاك فيه، ومن منكر للقيامة والبعث ومن بدائع النظم في هذه الآية تقديم الجار والمجرور فيه على مختلفون لبيان أهمية النبأ الذي اشتد الخلاف حوله ورعاية للفواصل[2].

ووردت الخبرية فعلية، تفيد التجدد والحدوث كقوله تعالى : ((يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا)) ومن بلاغه النظم في هذه الآيات الكريمة حذف المسند إليه وبناء الفعل للمفعول في((يُنفَخُ ، وَفُتِحَتِ ، وَسُيِّرَتِ ،))،وغرضه البلاغي توجيه المخاطب لهذه الأحداث العظيمة دون أن يشغل بغيرها.

وأما الإنشاء فهو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته.

وينقسم إلى طلبي وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وأنواعه:

---

(1) انظر:مغني اللبيب عن الكتب الأعاريب:جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري،٣٩ ، الفكر، ١٩٦٩م.

(2) انظر:تفسير أبي مسعود:٣٥٣/٦والتحرير والتنوير:١٠/٣٠.

الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء. وغير طلبي وهو مالا يستدعي مطلوبا كصيغ المدح والذم، وصيغ العقود والتعجب والرجاء([1]).

والجملة الإنشائية في سورة النبأ من القسم الأول الطلبي وتأتي على صور متعددة. فمنها ما ورد بصيغة الاستفهام كقوله تعالى: ((عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ)).

قال الزجاج: ((اللفظ لفظ استفهام، والمعنى تفخيم القصة كما تقول:أي شيء زيد إذا عظمت شأنه))([2]) فالاستفهام في الآية ليس على حقيقته إنما جاء لتفخيم ما يتساءلون عنه وتعظيمه، فالمعنى عن أي شيء عظيم الشأن يتساءلون. وقد كان المشركون يتساءلون عن النبأ العظيم، ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاءً فجاء اللفظ بصيغة الاستفهام للتفخيم والتهويل وتعجيب السامعين من أمر المشركين([3]).

وجاءت صيغة الاستفهام للتقرير في قوله: ((أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا)) وما عطف عليه؛ لأنها تنفي النفي فيكون إثباتا، أي أقررتم بأن الله جعل لكم الأرض مهادا وفرشا.

([1]) انظر: شروح التلخيص: سعد الدين العفتازاني، بهاء الدين السبكي، ابن يعقوب الغربي: ١/١٦٣() ١٩٠، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧م، وبغية الإيضاح:٢/ ٢٣

([2]) معاني القران إعرابه :أبو إسحاق الزجاج، تح:د.عبد الجليل شبلي، ٥/ ٢٧١، عالم الكتب، بيروت، ط/١، ١٤٠٨=١٩٨٨م.

([3]) انظر الكشاف:٤/١٧٦، والبحر المحيط:أبو حيان الأندلسي، ٨/٤١٠، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط/١٤١٣، ٢=١٩٩٢، وصفوة التفسير:٣/١٣٥٥.وتفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل:عبد الله بن عمر البيضاوي:٢/ ٥٦٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١٤٢٠، ١=١٩٩٩م.

ومنها ما ورد بصيغة الأمر للتوبيخ والتقريع في قوله تعالى :((فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا))، والأمر في الآية مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات.

قال الرازي: ((هذه الفاء للجزاء،فنبه على أن الأمر بالذوق معلل بما تقدم من قبائح من أفعالهم)) ([1]). والمعنى ((فذوقوا يا معشر الكفار فلن نزيدكم على استغاثتكم إلا عذابا فوق عذابكم))([2]). وهذه الآية في غاية الشدة على الكفار فقد روي على النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال:((هذه الآية أشد ما في القران على أهل النار،كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه)) ([3]) ودقة نظمها دال على المبالغة في التعذيب.فالأمر بالذوق جاء على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ((للمبالغة لتقدير إحضارهم وقت الأمر ليخاطبوا بالتقريع والتوبيخ وهو أعظِم في الإهانة والتحقير))([4]) ،وجملة الاستثناء جاءت مصدرة بحرف "لن" المفيد تأييد نفي ترك الزيادة أو تأكيد معنى الخلود في العذاب وفي ذلك ما فيه من الدلالة على تبالغ الغضب وشدته([5]).

---

(٢)انظر: فتح القدير:٥/٣٦٧،والتفسير الكبير:١٨/٣١.

([2]) صفوة التفاسير:١٣٥٧/٣.

([3]) التفسير الكبير:١٨/٣١،وانظر:تفسير البيضاوي:٥٦٢/٢،وتفسير أبي مسعود:٣٦٠/٦،وتفسير القران العظيم:٣٠٨/٣٠٧/٨،والجامع لأحكام القران:١٢٢/١٠وفتح القدير:٣٦٨/٥

([4]) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي:شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي:٣٩١/٩،دار الكتب العلمية،بيروت،ط/١٤١٧، ١ه=١٩٩٧م.

([5]) انظر:تفسير أبي السعود:٣٦٠/٦،والتحرير والتنوير:٣٨/٣٠.

ومن الجملة الإنشائية الطلبية ما ورد بصيغة التمني كقوله تعالى:((فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا)). فأل في الكافر تفيد جنس الكافر الذي يتمنى أن يكون ترابا في الدنيا فلم يخلق،أو ترابا في الآخرة فلم يبعث،وذلك لما يشاهد من أنواع العذاب،وعبر"بليت" لعلمه أن أمنيته لن تتحقق أبداً[1].

هذا ولاشك في أن الانتقال من أسلوب الإنشاء إلى أسلوب الخبر وعكسه في آيات هذه السورة الكريمة له قيمته البلاغية،فهو ضرب من التلوين في النظم يحرك النص ويبث فيه الحياة،ويجدد نشاط السامع ويعينه على إدراك المعاني وفهمها.

٢- التقديم والتأخير:

يمكن تعريف التقديم في نظم الكلام بأنه((تبادل في المواقع،تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى،لتؤدي غرضا بلاغيا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي اقتضته قاعدة الضبط اللغوي))([2]).

وهو من الأساليب الهامة في التعبير،ومن مظاهر القوة فيه،وقد عني به البلاغيون ومن أبرزهم عبد القاهر الذي بسط القول فيه[3]،وأشار إلى أهميته ومما قال: ((هو باب كثير الفوائد،جم المحاسن،واسع التصرف،بعيد الغاية لا

([1]) انظر:فتح القدير:٥/ ٣٧٠،والبلاغة القيمة:١٥

([2]) بلاغه الكلمة والجملة والحمل : د٠ منير سلطان، ١٣٨ ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط/ ، ١٩٨٨.

(٣) انظر:دلائل الإعجاز: ٨٣ ـ ١١١.

يـزال يفـترلـك عـن بديعة ،ويفـضي بـك إلى لطيفـة ...)) (١). وهـو مـن خـصائص التراكيب في سـورة النبأ ،فقـد عـدلت بعـض أجـزاء الجملـة في بعـض آياتهـا عـن مقتـضى الظاهـر ،فقـدم مـا حقـه التـأخير، وأخـر مـا حقـه التقـديم ،لأغراض ودواع بلاغية ومنه ما يأتي:

- تقـديم الظـرف علـى المفعول في قولـه تعـالى :((وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا)) للتشويق إليه مع مراعاة الفواصل ،فإن ماحقـه التقـديم إذا أخـر تبقـى الـنفس مترقبة له ،فإذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن[٢].

- ومنـه تقـديم الحـب علـى النبـات وتـأخير الجنـات في قولـه :((لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا)).يقـول الـرازي :((وإنمـا قـدم اللّه تعـالى الحـب (مـع تـأخره عـن النبـات في الإخراج) ؛لأنه هو الأصل في الغذاء(يعني لأنه الأهـم حيـث يتقـوت بـه ولكـثرة نفعـه وشـدة الحاجـة إليـه فهـو غـذاء الإنـسان في الغالـب) ،وإنمـا ثنـى بالنبـات لاحتيـاج سـائر الحيوانـات إليـه ،إنما أخـر الجنـات ؛لأن الحاجـة إلى الفواكـه ليست ضرورية(مثل الحاجة إلى الحب والنبات)(٣).

- ومنه تقديم "للطاغين" على "مآبا" فهو متعلق بـه ،قـدم عليـه لإدخـال الـروع على المشركين الذين بشركهم طغوا علـى اللّه.يقـول صـاحب التحريـر :وهـذا أحـسن. ولـك أن تجعلـه متعلقـا "بمـر صـادا" أو متنازعـا فيـه بـين ((مِرۡصَادٗا

(١) دلائل الإعجاز:١٨٩.

(٢) تفسير أبي السعود :٦/ ٣٥٥.

(٣) التفسير الكبير: ٣١/ ٩، وانظر: تفسير أبي السعود: ٦/ ٣٥٩، وروح المعاني: ١٥/ ٢١٠، والبلاغة القيمة:٩.

مَئَابًا))(1).أو لذلك مع إفادة التخصيص.والمعنى إن جهنم مرصاد للكل و مآب للطاغين خاصة.وهم طاغون لاعتقاداتهم الباطلة وديانتهم الزائفة(2).

ـ ومنه تقديم خبر إن على اسمها في ((إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا)) للاهتمام به تنويها بالمتقين، وهم المؤمنون الذين امنوا بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واتبعوا ما أمرهم به، واجتنبوا ما نهاهم عنه؛لأنهم المقصود من مقابلتهم بالطاغين المشركين.

٣- الإيجاز والإطناب:

الإيجاز ـ كما يقول السكاكي ـ هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل...))(3) أو هما ـ كما يقول الخطيب القزويني: ((تأدية أصل المراد بلفظ ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة(4) وهما بببببوهما من أهم أساليب البلاغة وفنونها حتى روي عن بعضهم أنه قال:((البلاغة هي الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل))(5).قال صاحب الكشاف:((كما أنه يجب على البليغ في مظان الإجمال أن يجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصل ويشبع...))(6)

---

(1) التحرير والتنوير: ٣٠/ ١٣٢.

(2) انظر: البلاغة القيمة:

(3) مفتاح العلوم: ١٢٣.

(٤) بغية الإيضاح: ١١٢/٢، ١١١.

(٢) البيان والتبيين:٩٧/١.

(٦) الإتقان في علوم القران:٦٩/٢.

(أ) والبلاغيون يقسمون الإيجاز إلى إيجاز قصر وهو ما ليس بحذف كقوله تعالى: {وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ } (١) وإيجاز حذف وهو ما يكون بحذف.

والمحذوف إما حرف أو كلمة أو جملة أو جمل، ويأتي لأغراض ومعان بلاغية، ويكثر الحذف في سورة النبأ، وسأعرض نماذج له مرتبة بحسب ترتيب الآيات في هذه السورة الكريمة.

ـ فمنه حذف الألف في((عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ))أصلها عن ما، فأدغمت النون في الميم وحذفت الألف ليتميز الخبر عن الاستفهام، وللتخفيف لكثرة استعماله ودورانه في الكلام(٢).وأضاف صاحب نظم الدرر إلى ذلك((الإشارة إلى أن هذا السؤال مما ينبغي أن يحذف، فإن لم يكن فيخفى ويستحى من ذكره ويخفف))(٣) .وقد قرئ على الأصل.يقول الزمخشري:((والاستعمال الكثير على الحذف والأصل قليل))(٤).

ـ ومنه حذف متعلق الجار والمجرور في قوله :((عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ))فعن النبأ م متعلق بفعل محذوف تقديره"يتساءلون".يقول الزجاج:((الكلام تام في قوله:"عم يتساءلون"ثم كان مقتضى القول أن يجيب مجيب فيقول:"يتساءلون عن النبأ العظيم"

(١) سورة البقرة:١٧٩.

(٢) انظر:المحرر الوجيز:٤٢٣/٥، وتفسير أبي السعود :٣٥٢/٦، وفتح القدير:٣٦٢/٥.

(٣) نظم الدرر:٢٥٩/٨.

(٤) الكشاف:١٧٦/٤.

فاقتضى إيجاز القران وبلاغته أن يبادر المحتج بالجواب الذي تقتضيه الحال والمجاورة اقتضابا للحجة وإسراعا إلى موضع قطعهم))(١)

- ومنه حذف المفعول للدلالة على العموم فيه وهو متعلق العلم في قوله:

((كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ))ففي الأول البعث وفي الثاني الجزاء على إنكاره ((أي"كلا سيعلمون"حقية البعث"إذا بعثوا"ثم كلا سيعلمون"الجزاء على إنكاره إذا دخلوا النار وعوقبوا))(٢) فهما علمان يحصل لهم بعد الموت :علم بحقيقة البعث وعلم بعاقبة تكذيبهم، ولذلك حذف المفعول في الموضعين ليعمهما.

- ومنه حذف الموصوف في((وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا))فالمراد بالسبع الشداد :السماوات، فهو من ذكر الصفة وحذف الموصوف للعلم به كقوله تعالى:((حملناكم في الجارية))...ولذلك جاء الوصف باسم العدد المؤنث، إذ التقدير:سبع سماوات(٣).

- ومنه حذف جملة"ونخرج"في((وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا)) والتقدير ونخرج به جنات ألفافا، والحذف لدلالة الكلام عليه.

- ومنه حذف الفعل في قوله:((وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا))فكل مفعول به

---

(١)المحرر الوجيز:٥/ ٤٢٣.

(٢)روح المعاني:١٥/ ٢٠٤، وانظر:تفسير البيضاوي:٢/ ٥٦٠، وتفسير أبي المسعود:٦/ ٣٥٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير:٣٠/ ٢١.

لفعل محذوف على الاشتغال أي أحصينا كل شيء أحصيناه.وقرئ بالرفع على الابتداء([1]).

ـ ومنه حذف جملتين في قوله :((يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا))فالإتيان هو الحضور بالمكان الذي يمشي إليه الماشي، فالإتيان هو الحصول. وحذف منه ما يحصل بين النفخ في الصور وبين حضورهم لزيادة فالإيذان بسرعة حصول الإتيان حتى كأنه يحصل عند النفخ في الصور، وإن كان المعنى:ينفخ في الصور فتحيون فتسيرون فتأتون([2]).

ـ منه حذف المفعول في قوله :((إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا)) "أي لايرجون ثواب حساب".قال الزجاج:((كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم))([3]).

ـ ومنه حذف المضاف في((حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا)) "أي كروم أعناب".يقول الشوكاني: ((وإذا كان مفازا بمعنى الفوز، فيقدر مضاف محذوف:أي فوز حدائق، وهي جمع حديقة :وهي البستان المحوط عليه، والأعناب:جمع عنب أي كروم عنب))([4]) .

ـ ومنه حذف المبتدأ في القراءة((رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا)) برفع الرب والرحمن على أن "رب" خبر مبتدأ مقدر:أي هو الرب، والرحمن صفته.وفي قراءة بخفض الأول "رب" على البدل من ربك، ورفع

---

(١) انظر:الجامع لأحكام القران:١٢٢/١، وتفسير أبي السعود :٣٣٦٠/٦.

(٢) التحرير والتنوير:٢٨/٣٠.

(١) فتح القدير: ٣٦٧/٥، وانظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٧٤/٥.

(٤) المصدر نفسه:٣٦٩/٥، ٣٦٨، وانظر:الجامح لأحكام القران:١٢٢/١.

الثاني "الرحمن" على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو الرحمن، (1) والحذف لتعينه، وعدم انصراف الذهن إلى غيره.

ـ ومنه حذف الموصوف في((وَقَالَ صَوَابًا)) أي كلاماً صوابا، وحذف المفعول الأول في((ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا))أي اتخذ الإيمان ـ ومنه حذف جملة جواب الشرط المقدر في قوله:((ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا))أي إن عرفتم أمر ذلك اليوم فمن شاء...))(2).

وبعد فتلك أمثلة ونماذج لإيجاز الحذف في سورة النبأ، وأما إيجاز القصر فمنه ما يبدو في عرض مشاهد الكون في قوله:((أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا)) ((فهذا الحشد الهائل من الصور والحقائق والمشاهد تذكر في حيز ضيق مكتنز من الألفاظ والعبارات مما يجعل إيقاعها في الحس حادا ثقيلا نفاذاً كأنه المطارق المتوالية بلا فتور ولا انقطاع))(3) .

(ب)وأما الإطناب فيأتي على أنواع مختلفة لدواع وأسرار بلاغية(4)، ومنه في سورة النبأ ما يأتي:

ـ التكرير للتأكيد كقوله تعالى:((كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)) وهو يفيد توكيد الإنذار والوعيد على سبيل التهويل والمبالغة في التشديد، و"ثم"تفيد أن

(1) انظر:فتح القدير:٥/٣٦٩.

(2) الجدول في إعراب القران وصرفه وبيانه:محمود صافي، ٣٠/٢٢٣، ٢٢٢، دار الرشيد، دمشق، ط/١٤١٨، ٤هـ =١٩٩٨م.

(3) في ظلال القران:سيد قطب، ٦/٣٨٠٤، ٣٨٠٣، دار الشروق، بيروت، ط/١٤٠٨، ١٥هـ =١٩٨٨م.

(4) انظر:الإيضاح:١/٣٠وما بعدها، وبغية الإيضاح:٢/١٣٣وما بعدها.

الوعيد الثاني أبلغ من الوعيد الأول ،حيث نزل التراخي والبعد في المرتبة منزلة التراخي في الزمان([1]) .

ـ ومن صور الإطناب ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله حتى كأنه لفضله جزء آخر مغاير لما قبله. ومنه قوله تعالى :((إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا)) فالمفاز مصدر بمعنى الفوز بالنعمة والنجاة من النار ،وقيل للفلاة مفازة تفاؤلا بالخلاص منها ،وتفسيره ـ تعالى ـ المفاز بالحدائق والأعناب وانتصابهما على أنهما بدل من"مفاز"بدل اشتمال أو بدل كل من كل على طريق المبالغة...والأعناب جمع عنب:أي كروم عنب،وذكر الأعناب بعد الحدائق وهي بعض منها اعتناء بها وبيانا لفضلها([2]) .

ـ ومنه ذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص كقوله تعالى :((يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ ...)) واختلف في المراد بالروح في الآية على أقوال منها :إنه جبريل عليه السلام.يقول ابن كثير:ويستشهد لهذا القول بقله: ((نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين))وهو المختار

كما يقول الرازي([3]).وتأسيسا عليه فالروح وهو جبريل ـ عليه السلام ـ داخل في عموم الملائكة، فقد ذكر مرتين:مرة منفرداً، ومرة ضمن الملائكة، تكريما له، وتنبيها على فضله وعلو منزلته.

---

(١) انظر:بغية الإيضاح:١٣٦/٢.

(٢) انظر:فتح القدير:٣٦٨/٥،وروح المعاني:٢١٨/١٥.

(٣) تفسير القران العظيم:٣٠٩/٨،والتفسير الكبير:٢٢/٣١.

٤ـ الفصل والوصل :

يقصد علماء البلاغة بالوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل ترك العطف(١).

وهو من أهم أساليب البلاغة وأدقها ، ولأهميته جعله بعض البلغاء حداً للبلاغة حين سئل عنها فأجاب بأنها :((معرفة الفصل من الوصل))(٢).ويستهدف باب الفصل والوصل((المناسبات بين المعاني، وتحديد صلات بعضها ببعض...كما يتناول مقاطع الكلام ومفاصلة عند منتهى أجزاء معانيه ...))(٣).

وقد عني به البلاغيون فوضعوا أصوله وقواعده.فمواطن الفصل تتمثل في كمال الاتصال، وكمال الانقطاع، وشبه كمال الاتصال، وشبه كمال الانقطاع.ومواضع الوصل تتمثل في أن تكون الجملة الأولى لها موقع من الإعراب وأريد إعطاء الثانية هذا الحكم الإعرابي، وأن تتفق الجملتان خبرا أو إنشاء لفظا ومعنى أو معنى فقط، وأن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع إيهام الفصل خلاف المقصود(٤).

وفيما يأتي إجمال لبلاغة الفصل والوصل في سورة النبأ ، ومن خلاله تتضح المناسبات بين مقاطعها ومعانيها :

---

(١) بغية الإيضاح:٦٢/٢.

(٢) البيان والتبيين:٨٨/١.

(٣) دلالات التراكيب:د.محمد أبو موسى، ٢٦٨ ، دار التضامن، نشر مكتبة وهبة، ط/٢، ١٤٠٨هـ =١٩٨٧م.

(٤) انظر:بغية الإيضاح:٦٢/٢وما بعدها.

ـ افتتحت السورة بفصل متوال في آيات بعد الآية الأولى((﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)).

وهذا الفصل لكمال الاتصال(1).بين هذه الآيات لوقوعها جوابا عن السؤال في الآية الأولى((عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ))أو بيانا للإجمال فيها لأنه لما((كان الاستفهام مستعملا في غير طلب الفهم حسن تعقيبه بالجواب عنه بقوله((عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ)) فجاء بيانا لما أريد بالاستفهام من الإجمال لقصد التفخيم، فبين جانب التفخيم...فكأنه قيل:هل يتساءلون عن النبأ العظيم...))(2).وجاءت الآية الثالثة مصدرة باسم موصول وقع نعتا ثانيا للنبأ، وجملة "هم فيه مختلفون" صلته.ولما اقتضى تساؤلهم عن النبأ العظيم تهديداً ووعيداً فصلت جملة سيعلمون الأولى الاستئنافية ولوقوعها موقع الجواب عن السؤال عما قبلها، ولذلك فصلت ولم تعطف؛لأن ذلك طريقة السؤال والجواب))(3).ولما أراد تأكيد الإنذار والوعيد تكررت الجملة معطوفة بثم الدالة على أن الإنذار الثاني أبلغ وأشد.

ـ ويبدأ القسم الثاني الدال على كمال قدرة الله ووحدانيته وإمكان البعث بجملة استئنافية ((أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا))، ((وجاء هذا الاستئناف بيانا

(1) انظر:شروح التلخيص:٣/٥٤.

(2) التحرير و التنوير:٣٠/٩.

(3) المرجع نفسه:٣٠/١٠.

لإجمال قوله:((عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ))، وسيجيء بعده تكملته بقوله:((إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا))(١).

ويلي الفصل في صدر هذا المقطع وصل متوال في بقية آياته، يلفت النظر، ويوقظ الحس، ويوجب الاهتمام((أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا)).

تأمل جمال هذا الوصل وبلاغته في هذه الايات الكريمة بعد الفصل السابق.

فالواو فيها قد وصلت الجمل بعضها ببعض لمكان الصلة بينها والتناسب ((فالوصل في هذه الأسئلة التقريرية جاء ليؤدي فكرة الاتصال والاشتراك في الحكم))(٢).

وتذوق حسن الوصل ودقة النظم في قوله:((وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا)) فهي معطوفة على التقرير الذي في قوله:((أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا)) والتقدير وأخلقناكم أزواجا "فكان التقرير هنا على أصله إذا المقرر عليه هو وقوع الخلق، فلذلك لم يقل: ألم نخلقكم أزواجا...والمعطوف عليه إن كان فعلا مضارعا فدخول

---

(١) المرجع السابق:١٢/٣٠.

(٢) التعبير الفني في القران:٢٥٦.

"لم" عليه صيره في معنى الماضي لما هو مقرر من أن "لم" تقلب معنى المضارع إلى الماضي، فلذلك حسن عطف "خَلَقْنَاكُم" على" أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ❁ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا))لتناسب الجملتين في الفعلية، فكلتا هما تقرير على شيء مضى(١).

ـ ويأتي القسم الثالث بيانا لما أجمله قوله: ((عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ)) مصدرا بآية((إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا))، فجملة((إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ...))

استئناف بياني تلا قوله:((لنخرج به حباً ونباتاً...))فيما يقصد به من الإيماء إلى دليل البعث(٢).فالفصل فيه لشبه كمال الاتصال.

ولما ذكر يوم الفصل بقوله بينه بقوله:((يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا))، فيوم ينفخ بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له فائدته:زيادة تفخيم ذلك اليوم وتهويله بتفصيل بعض أحواله وأهواله(٣).وعطف جملة "فتأتون"على جملة"ينفخ"بالفاء لإفادة تعقيب النفخ بمجيئهم إلى الحساب.مع حذف ما يحصل بين النفخ والحضور للدلالة على سرعة الإتيان كما أسلفت.

ـ ثم يأتي تفصيل أحوال يوم الفصل والجزاء مقدما وصف أحوال الكافرين؛لأن المقام مقام تهديد؛إذا فتحت السورة بذكر تساؤل المشركين

(١) انظر:التحرير والتنوير:٣٠/١٥، ١٤،وانظر:بغية الإيضاح:٢/٩٣.

(٢) المرجع السابق:٣٠/١٥، ١٤.

(٣) انظر:تفسير أبي المسعود:٦/٣٥٧،وفتح القدير:٥/٣٦٥،والتحرير والتنوير:٣٠/٢٨.

وتكذيبهم، ويأتي وصف عذاب الكافرين مصدرا بآية: ((إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا)) وهي منفصلة عما قبلها للاستئناف البياني فهي((مستأنفة استئنافا بيانيا عن جملة((إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ...)) وما وليها؛لأن ذلك مما يثير في نفوس السامعين تطلب ماذا سيكون بعد تلك الأهوال فأجيب بمضمون((إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا))([1]).

ولما كانت جملة((لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا ...)) بيانا لقوله:((لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا))فصلت عنها، فبين الجملتين كمال اتصال، والاستثناء منقطع، يعني لايذوقون فيها برداً يخفف عنهم حر جهنم، ولا شرابا يسكن من عطشهم، ولكن يذوقون الحميم والغساق([2]).

ولما حكم الله عليهم بذلك العذاب الشديد علله بقوله:((إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا .))؛ولذلك فصلت الجملة لوقوعها موقع التعليل لجملة((إِنَّ جَهَنَّمَ ...)).

و"إن"الواقعة في صدر هذه الجملة التعليلية ((إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا)) للاهتمام بالخبر وليست لرد الإنكار كما أشرت فيما مضى.

- هذا وبعد أن فرغ السياق من ترهيب الكافرين ووصف عذابهم انتقل إلى ترغيب المتقين ووصف نعيمهم:((إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ...))ولم يفصل بالواو بين مشهدي النعيم والعذاب لما بينهما من كمال التباين والتضاد.

---

(١) التحرير والتنوير:٣٠/٣١، ٣٠.

(٢) انظر:لبلاغة القيمة:١١.

بعد فعلل فيما أسلفت ما يشير إلى تمام الائتلاف والتناسب بين معاني آيات هذه السورة ومقاطعها وبعض أسرار الفصل والوصل فيها.

٥- نظام الفواصل:

الفاصلة في اللغة((الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصل النظم. وعقد مفصل أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة)) وتطلق الفواصل في الاصطلاح على((الكلمات التي تختتم بها الآيات من القران))(١).

والفاصلة القرآنية ركن من أركان الآية لفظا ومعنى، تتعلق بمضمونها، وتتناسب مع سياق نظمها، ولها وظيفتها الدلالية والإيقاعية فبها ((يتم معنى الآية، ويكتمل جرسها الصوتي))(٢).وهي تمثل جزءا مهما من إيقاع السورة.

- وقبل أن أتحدث عن طبيعة الفواصل في سورة النبأ ووظيفتها أود أن أشير أن القارئ يشعر بالمناسبة التامة والانسجام الواضح بين معاني هذه السورة وإيقاع ألفاظها وتراكيبها؛ فهو يتنوع بتنوع أقسامها ومقاطعها .فعدد كلمات كل آية من آيات القسمين الأولين من(١-١٦) أقل من كلمات آيات القسم الثالث:((إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ...))(١٧-٢٠).ويعلل ذلك أحد الباحثين بأن:((الحاسمة والتدفق في المقطعين الأولين تحتاج إلى فواصل قصيرة

(١) انظر لسان العرب:مادة"فصل"، والإتقان في علوم القران:٢/١٢٤، ومن بلاغة القران:٧٥.

(٢) انظر من بلاغة القران:٧٥.

متلاحقة، بينما الوصف والتصوير في المقطع الثالث أقل حاجة إلى ذلك))([1]) وهذا مظهر من مظاهر التناسق بين الصوت والمعنى.

ـ وفي القسم الرابع يتجلى هذا التناسق((فالإدغام في النونات وكثرة التنوين والمدود والحركات توحي بامتداد الزمن إلى آفاق لا منتهى لها، واسترسال في عذاب أبدي دائم((إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جَزَآءً وِفَاقًا)).وحينما ينتقل السياق إلى وصف نعيم المؤمنين نجد الكلمات والعبارات تنساب رخية هادئة فيها تطاول وامتداد وفيها سرور وانشراح وفيها جلال ووقار.

ـ وتختم السورة((بالإنذار الهاديء والزفرة الحرى التي يطلقها من فاته الركب، وضل عن السبيل))([2]).وهكذا تأتي ألفاظ هذه السورة الكريمة مراة لمعانيها.

ـ وإذا تتبعنا الآيات في سورة النبأ فسنجد تنويعا وتلوينا في حروف الروي التي تنتهي بها فواصلها.فقد تألفت من تسعة حروف هي:

١ـ حرف النون في الآيات(١ ، ٣ ، ٤ ، ٥) فقد ختمت كل آية بقوله: ((عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ)).

٢ـ حرف الميم في الآية الثانية((عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ))وهذه الآيات الخمس التي تمثل المقطع الأول يوقف عليها كلها بالسكون مسبوقا بحرفي مد:

---

(١) انظر: التعبير الفني في القران:٢٥٧.

(٢) انظر المرجع نفسه:٢٥٧.

والواو والياء، وللسكون بعد المد وقع ترتاح له الأذن.يقول سيبويه ((إن العرب إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون وما لا ينون؛لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا))([1]).

٣- حرف الدال في الآيات(٦ ، ٧ ، ١٢ ، ٢١)فقد ختمت كل آية بقوله تعالى :((مهاداً.أَوۡتَادٗا.شِدَادٗا. مِرۡصَادٗا ً)).

٤ـ حرف الجيم في الآيات(٨ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨).

٥ـ حرف التاء في الآيات(٩ ، ١٥ ، ١٧).

٦ـ حرف السين في الآية العاشرة :((وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا)).

٧ـ حرف السين في الآية الحادية عشر :((وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا)).

٨ـ حرف الفاء في الآية السادسة عشر :((وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا)).

٩- حرف الباء في الآيات (١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ـ٤٠)، والباء أكثر الحروف التي بنيت عليا الفاصلة في هذه السورة، فقد وردت في ست عشرة آية، وهي من الحروف الشفوية التي يسهل نطقها في المخرج.

ـ ومما يستدعي النظر أن جميع فواصل السورة بعد الخمس الأول أي من (٦ـ٤٠) تتألف من مقطع يتكون من صوت متحرك كالدال في"مهادًا"والجيم في "ثجاجا"والسين في"لباساُ"والشين في"معاشاً"والفاء في "ألفافا"والباء في"شراباً"ومن صوتين ممدودين هما :الألف التي قبل الروي

(١)انظر:الكتاب:سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، ٢٩٩/٢ ،ط/١ ، بولاق، القاهرة، ١٣١٦هـ ، وانظر :البرهان في علوم القران بدر الدين الزركشي، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، ٦٨/١، دار المعرفة، بيروت، ٦٨/١ ،ط/ ١٣٩١ ، ٢هـ =١٩٧٢م، ومن بلاغة القران:٧٥.

والألف التي بعدها، وذلك مظهر لوحدة الجرس في فواصل السورة على الرغم من تنوع حروف رويها وفي وحدة الجرس مع التنوع تأثير يبلغ مداه في نفس قارئه وسامعه؛ فلهذين المدين وظيفة إيقاعية ودلالية تتمثل في السماح للصوت بالارتفاع والامتداد في نهاية كل آية بمقدار متناسب، وامتداد الصوت مرتين في نهايات تلك الآيات يسمح للإيقاع الممدود بالوضوح التام في الأسماع، فيسهم في إيضاح المعنى وفي بلاغة السورة.

هذا وقد جاءت الفواصل في كل آية من آيات هذه السورة الكريمة متمكنة مطمئنة غير نافرة ولا قلقة، مناسبة لما قبلها، يكتمل بها معنى الآية بحيث لو حذفت أو غيرت لاختل المعنى.

الفصل الثالث

خصائص التصوير في سورة النبأ

الفصل الثالث

خصائص التصوير في سورة النبأ

- التصوير في اللغة مصدر صوره تصويرا فتصور، ويأتي بمعنى الشكل والهيئة والصفة.جاء في لسان العرب ((الصورة في الشكل...والجمع صور وصور وصور، وقد صوره فتصور...وتصورت الشيء:توهمت صورته، فتصور لي. والتصاوير التماثيل...قال ابن الأثير:الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته.يقال:صورة الفعل كذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته...))(١).

والتصوير في الدراسات البلاغية يعني التعبير بالصورة البيانية عن المعاني لتقريبها إلى الأذهان وإثارة الوجدان((والتعبير الذي يرسم للمعنى صورة أو ظلالا لا يخاطب الذهن وحده، وإنما يخاطب معه الحس والوجدان، ويثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس))(٢).

والتصوير من وسائل القران في تحقيق أغراضه وإيصال معانيه، وهو كما يقول الأستاذ سيد قطب:((الأداة المفضلة في أسلوب القران، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشخصية أو الحركة المتجددة...))(٣).

---

(١) انظر:لسان العرب:مادة"صور".

(٢) نظرية التصوير الفني عند السيد قطب:صلاح عبد الفتاح الخالدي، ٧٧، دار الفرقان، عمان، ط/١٤٠٣، ١هـ =١٩٨٣م.

(٣) التصوير الفني للقران:سيد قطب، ٢٣، دار الشرق، بيروت، ط:٣(بلا تاريخ).

وقد ربط عبد القاهر الجرجاني وسائل التصوير البياني والبديعي بالنظم وعندها جزءا منه كما أشرت في التمهيد.

وصور البيان والبديع وسائر أساليب البلاغة تدخل في مفهوم الصورة الأدبية باعتبارها((الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه أو سامعيه))([1]).أو باعتبارها((الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن نظمها الشاعر في سياق بياني خاص،ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني))([2]).

وقد عبرت سورة النبأ عن كثير من المعاني والحقائق بصور بيانية رائعة تآلف نظمها واتسق على أروع طريقة في التعبير والتصوير.وتتنوع طرق تصوير المعاني في هذه السورة الكريمة فقد يرد مرة بطريقة التشبيه،وتارة بطريقة الاستعارة وطورا بطريق الكناية وحينا بطريق البديع.

ـ فمن التصوير بالتشبيه قول الله تعالى:((أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ... وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ ...)).

ففي هذه الآيات الكريمة استدلال على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ليؤمن المخاطبون بما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ استدلال على ذلك بعجائب مخلوقاته تعالى وعظيم نعمه،ومنها الأرض والجبال ونظام

(١) أصول النقد الأدبي:أحمد الشايب، ٢٤٢،دار الاتحاد العربي،القاهرة،ط/١٩٧٣،٨م.

(٢) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر:د.عبد القادر القط، ٤٣٥،دار النهضة العربية،بيروت،ط/١٤٠١،٢هـ = ١٩٨١م.

النوم في الإنسان ووقته الأليق به وهو الليل، وقد وظفت الآيات فيما وظفت أسلوب التشبيه لأداء ذلك المعنى وتحقيق ذلك الغرض، ففيها نطالع صورا تشبيهية متتابعة.بدأت بقوله:((أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا)).أي ألم نجعل هذه الأرض ممهدة للسير عليها والعمل بها والحياة عليها((فهي للخلق كالمهد للصبي، وهو الذي مهد له فينوم عليه))(١).ففي الآية صورة تشبيهية، فقد شبه الله الأرض بالمهاد وهو الفراش اللين الوطيء في الاستقرار عليه والانتفاع به.وقال البقاعي: ((أي فراشا لكم موطئا مذللا يمكن الاستقرار عليه؛لتتصرفوا فيها كيف شئتم))(٢).وهي صورة بليغة غرضها توضيح حالة من أحوال الأرض عند خلقها للتأثير في نفوس المخاطبين وإيقاظ عقولهم ولفت أنظارهم، وهي كونها ممهدة للخلائق ذلولا ملائمة لهم قارة ساكنة، وذلك دليل على حكمة الله تعالى وكمال قدرته على البعث أوالمعاد، وفيه تذكير بفضل الله يدفع الإنسان إلى الإيمان بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النور والهدى .وقد امتن الله تعالى على عباده بجعل الأرض على هذه الصفة في غير موضع من القران الكريم(٣).وفي ذلك إشارة إلى عظم هذه النعم ودلالتها على كمال قدرة الله تعالى وحكمته البالغة.

ومن لطائف النظم في إطار هذه الصورة دقة التعبير بنجعل دون نخلق كما أشرت فيما مضى، واختار"مهادا"وهي لفظة دقيقة مصورة موحية.فقد صورت الغرض من التشبيه بوضوح وأدته في إيجاز بليغ عجيب فأغنت عن

---

(١) التفسير الكبير:٣١/٦.

(٢)نظم الدرر:٨/٢٩٧.

(٣) سورة البقرة:آية،٢٢،وسورة طه:اية٥٣،وسورة الذاريات :اية٤٨.

ألفاظ كثيرة يمكن أن تعبر عن تلك الصفة التي خلقت الأرض عليها هذا مع حذف عنصرين من عناصر الصورة التشبيهية في هذه الآية أو ركنين من أركانهما :أعني أداة التشبيه والصفة المشتركة بين طرفيه.

ويعطف السياق على هذه الصورة صورة أخرى في قوله تعالى:((وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا)) أي وجعنا الجبال كالأوتاد لتسكن الأرض ولا تتحرك ولا تضطرب بمن عليها. قال الزمخشري:((أي أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد))ويقول ابن الكثير:((أي جعلها لها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن فيها))(١).ففي الآية صورة تشبيهية بليغة،فالجبال للأرض كالأوتاد للخيام تثبتها وتمنعها من الاضطراب كما تمنع الجبال الأرض أن تميد بأهلها.وهذه الصورة مكملة للصورة السابقة.يقول الرازي:((قوله تعالى:((وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا))أي للأرض كي لا تميد بأهلها،فيكمل كون الأرض مهادا بسبب ذلك))(٢).

وتأتي الصورة الثالثة في هذا السياق لبيان وإيضاح ذلك الاستدلال بأقوى أحوال الإنسان شبها بالموت الذي يتلوه البعث وهو النوم.فقال تعالى:((وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا)). والسبات اسم مصدر بمعنى السبت أي القطع،عليه فالمعنى((وجعلنا نومكم قطعا لأعمالكم وراحة لأبدانكم)).وقيل السبت النوم،والمسبوت الميت،من السبت وهو القطع،لأنه مقطوع عن الحركة،والمعنى

(١)الكشاف:٤/١٧٧،وتفسير القران العظيم:٨/٣٠٢.

(٢) التفسير الكبير:٣١/٧،٦.

وجعلنا نومكم موتا([1]).وهو اختيار المحققين كما يقول الألوسي،لأنه أنسب بالمقام([2]).

وعليه ففي الآية تشبيه البليغ،((فشبه النوم لما فيه من راحة للجسد ـ دون أن تفارقه الروح ـ بالموت،لأنه أقوى في الظهور،فجعل النوم بمنزلة الموت في السكون وتلاشي الحركة))([3]).والإضافة في"نومكم"((لزيادة التنبيه للاستدلال،أي أن دليل البعث قائم بين في النوم الذي هو من أحوالكم،وأيضا لأن وصفه بسبات امتنانا،والامتنان خاص بهم(أي بالمخاطبين)))([4]).والانقطاع عن الحركة والإدراك والنشاط بالنوم يريح الأجساد والأعصاب،ويعوضها عن الجهد المبذول في حالة الصحو والانشغال بأمور الحياة،وهو كما يقول صاحب الظلال:((هدنة للروح من صراع الحياة العنيف...وضرورة من ضرورات تكوين الحي،وسر من أسرار القدرة الخالقة،ونعمة من نعم الله لا يملك إعطاءها إلى إياه،وتوجيه النظر إليها على هذا النحو القرآني ينبه القلب إلى خصائص ذاته،وإلى اليد التي أودعتها كيانه، ويلمسه بلمسة تثير التأمل والتدبر والتأثير والتأثر))([5]).

وتتميماً للاستدلال بالنوم يعطف عليه الاستدلال بوقته الأليق به وهو الليل ((وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا))أي جعلناه ساتراً لكم يستركم بظلامه كما يستركم

---

(١) انظر:التفسير الكبير:٣١/٧،وفتح القدير:٥/٣٦٤.

(٢) انظر:روح المعاني:١٥/٢٠٦.

(٣) البلاغة القيمة:٧.

(٤) التحرير والتنوير:٣/١٧.

(٥) في ظلال القرآن:٦/٣٨٠٥.

اللباس، ويلبسكم ظلمته فتغشيكم كما يغشيكم اللباس[1].ففي الآية تشبيه الليل باللباس، والصفة المشتركة الستر؛لأن كلا منهما يستر المتلبس به.يقول ابن الأثير:((وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها إلا بها إلا القرآن، فإن تشبيه الليل باللباس مما اختص به دون غيره من الكلام المنثور والمنظوم))[2].

ومن التصوير بالتشبيه في سورة النبأ قوله تعالى:((وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا)) وتأتي هاتان الصورتان البليغتان في سياق بيان حقيقة يوم الفصل وعلاماته وبعض مشاهده، ومنها انشقاق السماء وتسيير الجبال وفناؤها وتلاشيها.وفسر الفتح في الآية الأولى بالشق ففتح السماء انشقاقها كما أسلفت ((أي فصارت شقوقها لسعتها كأبواب أو فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب...))[3].ففيها تشبيه السماء بالأبواب في التشقق والانصداع، وهي صورة تشبيه بليغة.

وتليها صورة للجبال في ذلك اليوم الموعود((وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا)) ((أي سيرت عن أماكنها في الهواء، وقلعت عن مقارها، فكانت هباء منبثا يظن الناظر أنها سراب، والمعنى أن الجبال صارت كلا شيء كما أن السراب يظن الناظر أنه ماء وليس بماء))[4].ففي الآية تشبيه الجبال بالسراب في ((أن كلا

(١) انظر:تفسير أبي المسعود:٣٥٥/٦، وفتح القدر:٣٦٤/٥.

(٢) المثل السائر:١٣٩/٢.

(٣)روح المعاني:١٥/٢١٢.

(٤) فتح القدير:٣٦٥/٥.

منهما يرى على شكل شيء وليس بذلك الشيء))[1].وقد أشرت فيما مضى إلى بعض أسرار النظم الواردة في هاتين الصورتين البليغين.

هذا وإذا كان النظم القرآني في سورة النبأ قد أعتمد التصوير بالتشبيه طريقا في تجلية حقائقه ومضامينه فإن المتأمل في هذه الصور يدرك قيمتها البلاغية وأثرها في إيضاح المعاني والأغراض وتقريرها في النفوس وبثها في القلوب.فمن مظاهر بلاغاتها التناسب والتلاؤم بين طرفي التشبيه فيها.فخلق الأرض ممهدة للخلائق ذلولاً لهم قارة ساكنة لا يلائمها في هذه الحالة إلا الفراش الممهد اللين الوطء، وإنه ليصور الغرض من التشبيه أبلغ تصوير.

وإذا كان التشبيه الجيد البليغ كما يرى النقاد[2].تتجاوز وظيفته حدود التشابه الحسي الخارجي ويراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة أو بيان حقيقة فإن التشبيهات القرآنية في هذه السورة وفي سائر سور القرآن الكريم قد حققت أهدافها وأدت أغراضها أبلغ أداء وأدقه كما أشرت آنفا.وليس الحس وحده هو الذي يجمع بين طرفي الصورة التشبيهية في التشبيهات السابقة،ولكنه الحس والنفس معا فلفظ السراب في قوله تعالى:((وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا))يصور للعين منظر الجبال وقد صارت هباء منبثا لا تتماسك أجزاؤها،ويوحي في الوقت ذاته إلى النفس بمعنى فناء تلك الجبال وتلاشيها في ذلك اليوم الموعود.

---

(١)روح المعاني:١٥/٢١٣.

(٢) انظر:الديوان في الأدب والنقد:عباس العقاد والمازني، ١٧، ط١، القاهرة، بيروت، ١٩٧٣، والنقد والنقاد المعاصرون:د.محمد مندور، ٦٨، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة(بلا تاريخ).

ـ ومن التصوير بالاستعارة قوله تعالى:((وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا))أي خلقنا سبع سماوات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور([1]).فقد شبه البناء بالخلق،واستعير((فعل بنينا لمعنى خلقنا ما هو عال فوق الناس؛لأن تكوينه عاليا يشبه البناء.ولذلك كان قوله"فوقكم"إيماء إلى وجه الشبه في إطلاق فعل"بنينا"وليس ذلك بتجريد للاستعارة؛لأن الفوقية لاتختص بالمبينات،مع ما فيه من تنبيه النفوس للاعتبار والنظر في تلك السبع الشداد))([2]).والتعبير بالبناء مع أنه مستعمل في أسافل البيت والسقف في أعلاه أبلغ هنا من التعبير بالخلق وأدق((لأن البناء يكون أبعد من الآفة والانحلال من السقف ففيه إشارة إلى أنه كان وإن سقفا لكنه في البعد عن الانحلال كالبناء))([3]).ومن أسرار النظم في هذه الآية تقديم الظرف "فوقكم" على المفعول "سبعا" للتشويق إليه مع مراعاة الفواصل ([4]).

هذا ولما عبر خلق السموات بالبناء ذكر أعظم ما يشاهده الناس في فضائها بأسلوب التصوير الاستعاري فقال تعالى((وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا))أي وجعلنا لكم أو جعلنا في السبع الشداد شمسا منيرة ساطعة يتوهج ضوؤها لأهل الأرض ويتوقد([5]).

---

(١) انظر:التفسير الكبير:٨/٢١،وتفسير أبي مسعود:٣٥٥/٦.

(٢) التحرير والتنوير:٢١/٣٠، ٢٠.

(٣) التفسير الكبير:٨/٣١.

(٢) انظر: تفسير أبي مسعود: ٣٥٥/٦.

(٥) انظر:تفسير القرآن العظيم:٣٠٣/٨،والتحرير والتنوير:٢٢/٣٠،

فقد استدعيت لفظة "السراج" للشمس لتشابههما في التوقد والحرارة والإضاءة. واختيار كلمة السراج دقيق كل دقة، ففي السراج توقد وحرارة وضوء وهو مايتوافر في الشمس(1). وإيثار التعبير بجعلنا دون خلقنا لأن كونها سراجا وهاجا حالة من أحوالها كما أشرت فيما مضى.

ومنه قوله تعالى: ((إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا)) والمرصاد من صيغ المبالغة على زنة مفعال كالمنظار والمعمار والمطعان للراصد الشديد الرصد والترقب، وصفت به جهنم على طريقة الاستعارة المكنية، فقد شبهت بالرصد أي الحرس ففيها تشخيص لجهنم، فهي ترصد أعداء الله وتترقبهم كما يرصد الإنسان عدوه ويترقبه ليأخذه على حين غرة. وقيل المرصاد: المكان الذي يرصد فيه الراصد عدوه كالمضمار أي أن جهنم في حكم الله وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبهم فيها(2).

ومن التصوير بالكتابة والتعريض قوله تعالى: ((وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا)) فالمراد بالأزواج الأصناف: الذكور والإناث، وقيل غير ذلك(3). وهذه الجملة معطوفة على جملة ((أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا)) فهي في معنى أما خلقناكم أيها الناس أصنافا ذكورا وإناثا لينتظم أمر الناتج والتناسل، ولا تنقطع الحياة على ظهر هذا الكوكب الأرضي. وفي هذا الاستدلال ((حمل للمخاطبين على الشكر بالإقبال على النظر فيما بُلِّغ إليهم عن الله الذي أسعفهم بهذه النعم على لسان

(1) انظر: في ظلال القرآن: ٣٨٠٦/٦.

(2) انظر: التفسير الكبير: ١٢/٣١، وفتح القدير: ٣٦٦/٥، والتحرير والتنوير: ٣٢/٣٠.

(3) انظر: فتح القدير: ٣٦٤/٥.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعريض بأن إعراضهم عن قبول الدعوة الإسلامية ومكابرتهم فيما بلغهم من ذلك كفران لنعمة واهب النعم))(1). وقد مرت الإشارة إلى دقة التعبير بفعل الخلق في هذه الآية.

ومنه قوله تعالى: ((لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا))فهو كناية عن التأبيد أي ماكثين في النار أبدا.قال القرطبي: ((أي ماكثين في النار ما دامت الأحقاب، وهي لا تنقطع، فكلما مضى حقب جاء حقب، وهو الدهر والأحقاب الدهور))(2).

ومن أسرار النظم في الآية حذف لفظه الآخرة؛لأن المعنى فيها((لابثين فيها أحقاب الآخرة التي لانهاية لها؛فحذف الآخرة لدلالة الكلام عليه))(3).ومنها إيثار الأحقاب على الأيام((لأن الأحقاب أهول في القلوب، وأدل على الخلود...وهذا في حق المشركين، ويمكن حمل الآية على العصاة الذين يخرجون من النار بعد أحقاب...))(4).

ومنه قوله تعالى:((إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابًا))ففيه نفي لرجائهم وقوع الحساب، وتعريض برجاء المؤمنين وقوعه.((والرجاء اشتهر في ترقب الأمر المحبوب، والحساب ليس خيرا لهم حتى يجعل نفي ترقبه من قبيل نفي الرجاء، فكان الظاهر أن يعبر عن ترقبه بمادة التوقع الذي هو ترقب الأمر المكروه، فيظهر أن وجه العدول عن التعبير بمادة التوقع إلى التعبير بمادة الرجاء أن الله لما أخبر عن جزاء الطاغين وعذابهم تلقى المسلمون ذلك

---

(1) التحرير والتنوير:٣٠/١٦.

(2) الجامع لأحكام القرآن:١٠/١١٩.

(3) المصدر نفسه:١٠/١١٩.

(4) المصدر نفسه:١٠/١١٩.

بالمسرة، وعلموا أنهم ناجون مما سيلقاه الطاغون، فكانوا مترقبين يوم الحساب ترقب رجاء، فنفي رجاء يوم الحساب عن المشركين جامع بصريحه معنى عدم إيمانهم بوقوعه، وبكنايته رجاء المؤمنين وقوعه بطريقة الكناية التعريضية تعريضا بالمسلمين، وهي أيضا تلويحية لما في لازم مدلول الكلام من الخفاء))([1]).

ومنه قوله تعالى((لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا))فهو كناية عن معيشة أهل الجنة في صفاء ومودة.فكنى عن انتفاء اللغو والكذب عن شاربي خمر الجنة بأنهم لا يسمعونهما فيها، لأنه لو كانا فيها، لأنه لو كانا فيها لسمعوه، وهي كناية لطيفة توحي بأن أهل الجنة منزهة أسماعهم عن اللغو والكذب ونحوهما([2]).

ومنه قوله:((لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا))فضمير"لا يملكون"لأهل السموات والأرض أي لا يملكون أن يسألوا إلا فيما أذن لهم فيه، فالجملة كناية عن نفي قدرتهم أن يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير إذنه تعالى([3]).

ومن التصوير البديعي التقابل بين مشهد الطاغين في الجحيم((إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ... .فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا))وبين مشهد المتقين في جنة النعيم((إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ... جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا)).

(١) التحرير والتنوير:٣٠/٣٥.

(٢) انظر:المرجع نفسه:٣٠/٤٢، ٤١.

(٣) انظر:تفسير أبي السعود:٣٦١، وفتح القدير:٥/٣٧٠.

فالطاغون خاسرون، تترصد بهم جهنم، وتترقبهم فلا يفلتون منها ولا يتجاوزونها، فهي مآبهم ومقابهم، لا يذوقون بردا ولا شرابا إلا ماء حارا يشوى وجوههم وحلوقهم وبطونهم وإلا ما يغسق ويسيل من أجسادهم من صديد ونحوه، وذلك جزاء يوافق أعمالهم الفاسدة. أما المتقون فإنهم فائزون بجنة النعيم، لهم فيها حدائق وأعناب وكواعب أتراب ولهم كأس مليئة هنيئة، وحياتهم مصونة عن اللغو والتكذيب، فهم في مودة وصفاء وفي رفعة ومتعة في دار الخلود، ((جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا)).

والتقابل مظهر من مظاهر التناسق البلاغي، وطريقة من طرق التصوير(١). استخدمه القرآن كثيراً لتنسيق صوره التي يرسمها بالألفاظ، وينسق بينها بالمقابلات الدقيقة فيؤدي المعنى في صورة معجزة مؤثرة بينة؛ لأن الأشياء تتميز بأضدادها.

(١) انظر: التصوير الفني في القرآن: ٨٠ وما بعدها.

الخاتمة

الخاتمة

وبعد، فلعل فيما ذكرت ما يكشف عن بعض مظاهر الإعجاز النظمي في سورة النبأ ومنه بمكن أن أسجل النتائج الآتية:

١ـ النظم في اللغة يأتي بمعنى التأليف والجمع والضم والاتساق.وفي الاصطلاح((تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل - .وقد انتهى مصطلح النظم إلى هذه الدلالة بجهود كثير من العلماء والأدباء أبرزهم عبد القاهر الجرجاني.

٢ـ يلتقي معنى النظم بالأسلوب عند عبد القاهر بيد أن النظم هو الشائع في الدراسات القرآنية.

٣ـ موضوع سورة النبأ وغرضها العام:((إثبات عقيدة البعث والجزاء والدلالة على أن يوم القيامة ثابت لا ريب فيه - . وحوله تدور آياتها من مطلعها إلى ختامها.

٤ـ جاءت معانيها في نسق بلاغي معجز يتسم بالوضوح والقوة والجمال.

٥ـ من خصائص الألفاظ تميزها بدقة اختيارها وتمكنها في موضعها، ومنها تنوعها في التعبير بها عن المعنى، وتتمثل في التنكير والتعريف، والإظهار والإضمار، والتعبير عن المضارع، والالتفات.

٦- من خصائص التراكيب:التقديم والتأخير،والفصل والوصل،والإيجاز والإطناب.

٧ـ من خصائص التصوير:التشبيه والاستعارة والكناية والمقابلات.

هذا والله أعلم،وصلى الله على نبينا محمد ،وعلى آلة وصحبه وسلم.

مصادر البحث والمراجعة

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي:د.شفيع السيد،دار الفكر العربي، القاهرة،١٤٠٧هـ=١٩٨٦م.

٣ـ الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر:د.عبد القادر القط،دار النهضة العربية،بيروت،ط/١٤٠١، ٢هـ=١٩٨١م.

٤ـ الإتقان في علوم القرآن:جلال الدين السيوطي،مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط/١٣٨٩، ٤هـ=١٩٧٨م.

٥ـ أساس البلاغة،جار الله محمود بن عمر الزمخشري،تح،عبد الرحيم محمود،دار المعرفة،بيروت،(بلا تاريخ) .

٦ـ الأسلوب:أحمد الشايب،مكتبة النهضة المصرية،ط/١٩٦٦، ٦م.

٧ـ أصول النقد الأدبي:أحمد الشايب،دار الاتحاد العربي،القاهرة،ط/١٩٧٣، ٨م.

٨ـ الإعجاز البياني القرآني:د.عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ) ،دار المعارف، القاهرة،ط/١٩٨٧، ٢م.

٩ـ الإعجاز النظمي للقرآن:دعبد الحميد العبيسي،مطبعة عيسى الحلبي،القاهرة،ط/١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

١٠ـ الإيضاح في علوم البلاغة:الخطيب القيزوني،تح،د.محمد عبد المنعم خفاجي،دار الكتاب اللبناني،ط/١٤٠٠، ٥هـ=١٩٨٠م.

١١ـ البحر المحيط أبو حيان الأندلسي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، ط/١٤١٣، ٢هـ=١٩٩٢م.

١٢ـ البرهان في علوم القرآن بدر الدين الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط/١٣٩١، ٢هـ=١٩٧٢م.

١٣ـ البرهان في وجوه البيان إسحاق بن إبراهيم بن وهب، تح: حفني محمد شرف، القاهرة، ١٩٦٩م.

١٤ـ بغية الإيضاح لتلخيص المفاتيح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة، ، ط/٦ (بلا تاريخ) .

١٥ـ البلاغة تطوير وتاريخ: د.شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط/٥.(بلا تاريخ .

١٦ـ بلاغة القرآن في آثر القاضي عبد الجبار: د.عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م.

١٧ـ البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/١٤٠٨، ٢هـ=١٩٨٨م.

١٨ـ البلاغة القيمة: د.عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٩ـ بلاغة الكلمة والجملة والجمل: د.منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط/١٩٨٨، ١م.

٢٠ـ بيان إعجاز القرآن :حمد بن محمد الخطابي ـ ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.

٢١ـ البيان والتبيين:أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح:عبد السلام هارون، ط/٤، بيروت، ١٩٤٨م.

٢٢ـ تاريخ آداب العرب:مصطفى صادق الرافعي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٢، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.

٢٣ـ تأويل مشكل القرآن:عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح:السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط/٢، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

٢٤ـ التحرير والتنوير:محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط/١، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

٢٥ـ التصوير الفني في القرآن:سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط/٣(بلا تاريخ) .

٢٦ـ التعبير الفني في القرآن:د بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، ط/٣، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

٢٧ـ التعريفات:الشريف علي بن محمد الجرجاني، تح:إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط/٢، ١٤٣١هـ=١٩٩٢م.

٢٨ـ تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٩هـ= ١٩٩٩م.

٢٩ـ تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل:عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

٣٠ـ تفسير القرآن العظيم:أبو الفداء إسماعيل كثير، تح، سامي بن محمد السلامة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ=١٩٨١م.

٣١ـ التفسير الكبير:فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١٤٢١، ١هـ.

٣٢ـ تنوير المقباس من تفسير أبن عباس:محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، مطبعة المصطفى الحلبي، القاهرة، ط/١٣٧٠، ٢هـ=١٩٥١م.

٣٣ـ الجامع لأحكام القرآن:أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح:هشام البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/١٤٢٢، ١هـ=٢٠٠٢م.

٣٤ـ الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه :محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، ط/١٤١٨، ٤هـ=١٩٩٨م.

٣٥ـ حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي:شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١٤١٧، ١هـ=١٩٩٧م.

٣٦ـ الحيوان:أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح:عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط/١٣٨٤، ٢هـ=١٩٦٥م.

٣٧ـ الخصائص:أبو الفتح عثمان بن جني، تح:محمد علي النجار، دار الكتب المصرية/ط/١٣٧١، ٢هـ=١٩٥٢م.

٣٨ـ دلالات التراكيب:د.محمد أبو موسى، دار التضامن، نشر مكتبة وهبة، ط/٢، ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م.

٣٩ـ دلائل الإعجاز:عبد القاهر الجرجاني، تصحيح وتعليق:محمد عبده ومحمد رشيد رضا، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

٤٠ــ الديوان في الأدب والنقد :عباس العقاد وعبد القادر المازني، القاهرة، ط/١٩٢١، ١م.

٤١ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:شهاب الدين محمود الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١٤٢٢، ١هـ=٢٠٠١م.

٤٢ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تح:محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبية العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

٤٣ـ شروح التلخيص:سعد الدين التفتازاني، بهاء الدين السبكي، ابن يعقوب المغربي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧م.

٤٤ـ صفوة التفاسير:محمد علي الصابوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١ ، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

٤٥ـ علوم البلاغة:أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢ ، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

٤٦ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:الحسن الرشيق القيراوني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة دار الجيل، بيروت، ط/١٩٧٢، ٤م.

٤٧ـ فتح القدير:محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت(بلا تاريخ).

٤٨ـ في ظلال القرآن:سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط/١٥، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

٤٩ـ القاموس المحيط:مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، بولاق، القاهرة، ط/١٣٠٢، ٣هـ.

٥٠ـ الكتاب:سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، ط١، بولاق، القاهرة، ١٣١٦هـ.

٥١ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت(بلا تاريخ) .

٥٢ـ لباب النقول في أسباب النزول:جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، ط/١٤١٩، ٢هـ=١٩٩٨م.

٥٣ـ لسان العرب: جمال الدين محمد بن كروم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط/١٤١٧، ٦، هـ=١٩٩٧م.

٥٤ـ المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر:ضياء الدين بن الأثير، تح، د.أحمد الحوفي ود، بدوي طبانة، مطابع الفرزدق، الرياض، ط/١٤٠٣، ٢هـ=١٩٨٣م.

٥٥ـ المحرر الوجيز:ابن عطية الأندلسي، تح:المجلس العلمي بفاس، ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م.

٥٦ـ مشاهد القيامة في القرآن:سيد قطب، دار الشروق، بيروت(بلا تاريخ) .

٥٧ـ معاني القرآن وإعرابه:أبو إسحاق الزجاج، تح:د.عبد الجليل شبلي، عالم الكتب، بيروت، ط/١٤٠٨، ١هـ=١٩٨٨م.

٥٨ـ المعجم الوسيط:إخراج:د.إبراهيم أنيس وزملائه، ط/٢، دار الفكر (بلا تاريخ).

٥٩ـ المغني في أبواب التوحيد والعدل:القاضي عبد الجبار الأسد آبادي، تح:أمين الخلوي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط/١٣٨٠، ١هـ=١٩٦٠م.

٦٠ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، دار الفكر، ١٩٦٩م.

٦١ـ مفتاح العلوم:أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، مطبعة مصطفى الحبلي، القاهرة، ط/١٣٥٦، اهـ=١٩٣٧م.

٦٢ـ المفردات في غريب القرآن:الراغب الأصفهاني، تح:محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط/١٤١٨، اهـ=١٩٩٨م.

٦٣ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:أبو الحسن الأشعري، تح:محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط/١٣٨٩، ٢هـ١٩٦٩م.

٦٤ـ مقدمة ابن خلدون:عبد الرحمن بن خلدون:دار التحرير، القاهرة، ١٣٨٦هـ ـ١٩٦٦م.

٦٥ـ من بلاغة القرآن:د.أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٧٠هـ=١٩٥٠م.

٦٦ـ من بلاغة النظم العربي:د.عبد العزيز عرفه، عالم الكتب، بيروت، ط/٢، ١٤٠٥هـ=١٩٨٤م.

٦٧ـ من منهل الأدب الخالد:محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط/٤، ١٣٩٢هـ=١٩٧٣م.

٦٨ـ نظرية التصوير الفني عند سيد قطب:صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار الفرقان، عمان، ط/١٤٠٣، اهـ=١٩٨٣م.

٦٩ـ نظرية عبد القاهر في النظم:د.درويش الجندي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٠م.

٧٠ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

٧١ـ النظم الفني في القرآن عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة (بلا تاريخ) .

٧٢ـ النقد الأدبي الحديث :د.محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م.

٧٣ـ النقد والنقاد المعاصرون :د.محمد مندور، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة (بلا تاريخ) .

٧٤ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز :فخر الدين الرازي، تح"د.بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط/١، ١٩٨٥م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة